الطقوس السحرية ودورها في العلاج

دراسة مقارنة في الحضارات القديمة[1]

د. اسامة عدنان يحيى

كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

يشغل السحر وطقوسه حيزا كبيرا في أدبيات المجتمعات القديمة،والمعروف حاليا لدى مؤرخي الحضارات القديمة ان السحر يقسم إلى نوعين هما: السحر النافع وهو يهدف إلى مساعدة الإنسان في مواجهة قوى الشر، والنوع الثاني السحر الأسود، وهدفه بشكل رئيس الإيذاء، بمعنى إنزال ضرر بالإنسان، وهكذا يكون سحرة النوع الأول من السحر هم المسئولين عن القضاء على شرور السحرة الذين يتعاطون السحر الأسود.ولعل ابرز أهداف السحر النافع هو شفاء الناس من الأمراض الذين يصيبهم بها العفاريت والأرواح الشريرة،ففي كثير من المجتمعات القديمة اعتقد الناس بوجود كائنات مؤذية لها القدرة على إصابة الإنسان بأفدح ضرر، ولعل ابرز هذه الأضرار هو المرض، لذا كثيرا ما استنجد الناس بأولئك السحرة الأطباء من اجل معالجتهم من الأمراض، التي تصيبهم من جراء قوى الشر من كائنات فوق طبيعية كالعفاريت، أو السحرة المتعاطين للسحر الأسود.

ليس هناك دليل نعرف منه ما بلغه الإنسان فيما قبل التاريخ من معرفة بالطب، ولا يبعد ان كان الإنسان في تلك العصور ملما ببعض وسائل العلاج، فقد وجدت أثار عملية التربنة(جراحة في الدماغ) في جماجم الإنسان التي يرجع تاريخها إلى حوالي ٣٠٠٠٠ عام وذلك في بيرو في جنوب أمريكا.فهناك ثقوب في تلك الجماجم واصلة للمخ، وهناك تكلس في حافة الثقوب يثبت إنها عملت وأصحابها على قيد الحياة، وان أصحابها عاشوا بعد ذلك. وربما كان الإنسان قد تساءل وقتئذ عما تحويه هذه الجماجم، هل حوت روحا خبيثة هي التي سببت الألم والمرض؟هل يمكن ثقب الجمجمة لإخراج هذه الروح الشريرة وشفاء صاحبها؟ لا نعرف ان كانت هذه الثقوب قد عملت من اجل العلاج أم أداء لفريضة دينية؟أو ربما تنفيذا لطقوس سحرية؟لاسيما إذا علمنا ان الطب كان نوعا من العبادة، وربما نوعا من الطقوس، وان الكاهن أو الساحر كان طبيبا أيضا. وهناك كهف في فرنسا يعرف باسم كهف الإخوة الثلاثة يحوي نقوشا تعود في تاريخها إلى ١٦٠٠٠ عام مضى تمثل شخصا يرتدي فوق رأسه رأس غزال ويظهر انه يعالج مريضا. ويعد الشخص ذو رأس الغزال أقدم شخصية طبية فهو ساحر القرية وطبيبها، وتنسب إليه مواهب خارقة للعادة. وعلى مدى التاريخ القديم يجد الإنسان في كل مكان من الأرض الطبيب الساحر مرتديا رداءه الخاص المتغير بتغير الوسط الاجتماعي، فهو أحيانا غول، وأحيانا

---

[1]) البحث منشور في مجلة كلية التربية/الجامعة المستنصرية-العدد الثاني-لسنة ٢٠١١.

حيوان ضخم يتكلم كلاما غامضا بصوت جهوري مشفوعا بدقات الطبول للتأثير على المريض نفسيا.وكان هؤلاء السحرة يصفون الأدوية لمرضاهم،وقد اعتقد الإنسان ان الروح الشريرة المحدثة للمرض تتقمص أحيانا في حيوان صغير كالجرو فوصف لحمه ضد هذا المرض وهكذا[٢].

كان للتطور الحضاري الذي شهدته الحضارات القديمة اثر كبير في بروز الطب العلمي فنحن في اقل تقدير نعرف بشكل جيد الكثير من وسائل العلاج التي تقوم على أسس علمية قد طبقت في الحضارات العراقية،والمصرية،واليونانية،والرومانية بنجاح،ولكن هذا لا يعني بكل الأحوال اختفاء ممارسات الطب السحري،الذي ظل يشغل حيزا مهما في تفكير المجتمعات القديمة.فالسحر في وادي الرافدين شكل عنصرا مهما في العلاج أو بتعبير أدق في طرد الأرواح الشريرة المسببة للمرض من جسد المريض،فاللجوء إلى السحر هو بمثابة سلاح للدفاع عن النفس،بل هو صراع ضد الشر،فبالسحر يمكن دفع تحقيق الضرر،وذلك بعد الاطلاع على الضار المتوقع،سواء كان ذلك بسبب غضب الآلهة،أم بسبب هجمات الشياطين والأرواح الشريرة التي يواجهها السحرة[٣].وقد كان السحرة الذين يتولون عملية القيام بالطقوس السحرية يعرفون في النصوص البابلية باسم الاشيبو(*ašipu*)[٤]،والمشماشو(*Mašmašu*)[٥]،وهذان المصطلحان يترجمان عادة بطارد الأرواح،على الرغم من ان ترجمة المصطلح بالساحر أو الطبيب الساحر قد يكون أكثر إيضاحا عن واجباته الفعلية في المجتمع العراقي القديم،وهذان الصنفان من الكهنة هما اللذان يقومان بطقوس

---

٢) حسن كمال،الطب المصري القديم،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨)،ص٩-١١.

٣) مارغريت روتن،علوم البابليين،ترجمة:يوسف حبي،(بيروت:دار الطليعة،١٩٨٠)،ص٦٢.

٤) اشيبو:المعوذ أو الطبيب الساحر،ويترجمه كونتينو بالكاهن الذي يقرأ التعاويذ.والكلمة من المصدر وشبو في الاكدية،ومعناها عوذ ومنها أيضا شيبتو،أي تعويذة بحذف فاء الفعل.وفي السومرية(*KA-INIM-MA*)انظر:السيد يعقوب بكر،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة،،(القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،بلا.ت)،ص٢٦٥؛جورج كونتينو،الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور،ترجمة:سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٧٩)،ص٤٨٤؛منى حسن عباس،"خنجر وتميمة من تل محمد وتمائم لذباب من أور"،مجلة سومر،م٥٢،لسنة،٢٠٠٣-٢٠٠٤،ص١٥٥؛شابيرو وهندريكس،معجم الأساطير،ص٤٧.

٥) كاهن معوذ أخر،وهو على خلاف أصل كلمة اشيبو الاكدية،فان كلمة الماشماشو سومرية الأصل،ويرى الأستاذ مورجنشترن(*Morgenstern*) ان الماشماشو والاشيبو كانا ينتميان إلى طبقة واحدة من الكهنة،ولكن الماشماشو دون الاشيبو في المنزلة.ولكن الأستاذ شرانك(*Schrank*)يعترض على هذا الرأي،ويقول ان الاشيبو والماشماشو لفظان مختلفان لمدلول واحد،وان لفظة الاشيبو الاكدية ترجمة للكلمة السومرية ماش-ماش.ويطابق كونتينو بين اللفظتين ويرى ان الكاهن المعزم الذي يطبق الطقوس السحرية يطلق عليه اسم الماشماشو أو الاشيبو.انظر:بكر،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة،ص٢٦٥؛كونتينو،الحياة اليومية،ص٤٨٤.

التعزيم التي تهدف بالدرجة الأساس إلى طرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى وإبطال السحر وإعاقة عمل السحرة والحماية من صناع السحر الأسود،ويصرح الطبيب الساحر عن عمله بقوله:"أنا المعزم،الذي يشفي البلاد أنا المتعوذ الذي يسير في كل مكان في المدينة.ان المعزم الذي فمه مغسول"[٦].ويظهر ان للمشماشو عمل أخر يقوم على قراءة الطالع عن طريق تكون التشكيلات التي تحدث عند سكب الزيت على الماء،وهو يقوم بعمله هذا للفقراء الذين لا يستطيعون تقديم الأضاحي:"إذا غاص الزيت في الماء ثم طاف ثانية وظهر عليه الانكماش،فذلك يعني فألا سيئا للمريض،أما إذا تشكل الزيت بشكل حلقة تتحرك إلى الشرق فذلك يعني ان المريض سيشفى"،أو:"إذا تجمع الزيت عند صبه للمرة الثانية فان المريض سيموت"،أو:"إذا كان في الزيت من الجهة الشرقية بقعة منكمشة فان المرض سيطول".وللمشماشو أسلوب ثان في قراءة الفؤول يستعين به في حالات خاصة،وهو قراءة تشكيلات دخان المبخرة:"إذا تحرك التكون الدائري للدخان بعيدا عن المركز ثم توقف عن الحركة فان المريض سيشفى"[٧].ويبدو ان الاشيبو كان يحسن استخدام قوى سحرية كبيرة إلى درجة ان بعض النصوص الدينية تصف بعض الآلهة أحيانا بأنها:"اشيبو الآلهة".ومن الواضح ان الفكرة وراء ذلك ان قوة الاشيبو كانت كبيرة إلى درجة فاقت حتى القوى المقدسة،بحيث ان الآلهة نفسها قد تكون مسرورة ان تفيد نفسها بها،لذا فقد كان للاشيبو مكانة مهمة.ونحن نمتلك أدلة عن أهمية الاشيبو وكيف ان الملوك ذاتهم في وادي الرافدين كانوا يتقيدون بتعليماتهم بصرامة ففي رسالة من اشيبو إلى احد الملوك الأشوريين تقول:"لماذا لم يؤت بمنضدة(العشاء) إلى الملك سيدي لهذا اليوم الثاني؟وأيا كان في الظلام بالنسبة لإله الشمس،ملك الآلهة،هو في ظلام كل اليوم والليلة،ومرة أخرى لمدة يومين.ولكن الملك،سيد البلدان،هو مثيل الإله الشمس يجب ان يكون في الظلام لمدة نصف يوم فقط".ويبدو ان شيئا قد حدث بخصوص الشمس،ربما الكسوف،ولذلك كانت متطلبات الشعيرة ان تكون في الظلام،لمدة يومين.وكان الملك يطبق تلك المتطلبات الصارمة،ولكن هنا يأتي الاشيبو بالقول انه طالما كان الملك نفسه مظهرا بشريا للإله الشمس،فان فترة بقائه في الظلام يجب ان يقتصر على نصف يوم.وهناك خرم في رسالة الاشيبو ولكن عندما تستأنف تعطي تلميحا عن سبب محاولة الاشيبو إيجاد عذر للملك لإنهاء صيامه.ويبدو ان النص التالف نوعا ما يقول:"ان أكل طعام وشرب نبيذ سيطرد حالا المرض عن الملك.ويجب ان تؤخذ(هذه النصيحة) بنظر الاعتبار.ان الانفعال من عدم الأكل أو الشرب

---

[٦]) حول هذا النص انظر: رينيه لابات،المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين:مختارات من النصوص البابلية،ترجمة:ألبير أبونا ووليد الجادر،(بغداد:مطبعة التعليم العالي،١٩٨٨)،ص١٥٦.

[7]) عبد اللطيف ألبدري،الطب في العراق القديم،(بغداد:منشورات المجمع العلمي،٢٠٠٠)،ص٤٥-٤٦.

يقلق العقل ويجلب المرض.عسى ان يسمع الملك خادمه حول ذلك"[٨].ولكن لم يكن هذا الصنفان من الكهنة هما الوحيدان القائمان بعملية طرد الأرواح الشريرة وان كان الاشيبو أبرزهم ولكن كان إلى جانب الأخير والماشماشو كهنة من صنف كالو(*Kalu*)المختصين بالندب والرثاء،والكهنة من صنف رامقو المختصين بطقوس التطهير،كذلك هناك كهنة البارو(العرافون) الذين يعملون إلى جانب الاشيبو من اجل تشخيص المرض،ويقوم هذا الكاهن بقراءة مشيئة الآلهة من الارتسامات على أحشاء أضاحي النذور سواء الكبد أو الطحال،وتشير النصوص تخص قراءة كبد الضحية إلى طريقة عمل البارو:"إذا وجد أخدود بين قناتي الكبد الصفراويتين فان نركال سيثور ويعم الطاعون في البلد"،أو:"إذا كان الفص الإصبع للكبد بشكل قرن الماعز،فان الروح الحامية للشخص ستتركه وسيمرض"،وهناك نصوص تخص قراءة الطحال للضحية:"إذا كان الطحال...لونه فاتحا فان وباء سيحل بالناس"[٩].ومن الكهنة المرتبطين بالأعمال السحرية الخاصة بالمرض،الكاهن المختص بتفسير الأحلام(*unšinakku*) والذي يعرف باسم(*ša'ilu*) ونقرأ عن تفسير الأحلام المتعلق بالمرض:

-"إذا رأى النائم في الحلم،انه يمشي في مياه ضحلة فان مرضه سيكون خفيفا".

-"مثله،وان كانت المياه عميقة فان مرضه سيكون شديدا".

-"إذا رأى النائم في الحلم انه يصنع بابا أو سريرا أو كرسيا أو قاربا فان الأرواح الشريرة ستصيبه".

-"إذا رأى النائم في الحلم وقد أصابه رذاذ بوله،فانه سيصاب بمرض يد عشتار".

-"إذا رأى النائم في الحلم انه ذهب إلى حقل قصب السكر وقطع القصب وجعله في رزم،فسيشفى من المرض الخطير الذي به".

-"إذا رأى النائم انه يأكل لحم غزال،فسيصاب بمرض(*sihal šeri*)(انثقاب الأمعاء)".

-"إذا رأى النائم انه قد أعطاه شخص ختما عليه اسم شخص أخر،فانه سيصاب بالجذام...".

---

[٨]) حول هذا النص وتفسيره انظر: هاري ساكز،قوة أشور،ترجمة:عامر سليمان،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٩٩)،ص٣٠٤.

[٩]) حول الكهنة المختصين بعملية طرد الأرواح الشريرة والعفاريت في وادي الرافدين انظر:سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة،،(القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،بلا.ت)،ص٧٨؛ هاري ساكز،عظمة بابل،ترجمة:عامر سليمان،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٧٩)،ص٣٤٣؛ فوزي رشيد،"المعتقدات الدينية"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٤)،ج١،ص١٦٦؛ نائل حنون،عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،ص١١٧-١١٨،٢١٧؛ساكز،قوة أشور،ص٣٠٣، ٣١١؛البدري،الطب،ص١٠-١١، ٤٤؛ جان بوتيرو،الديانة عند البابليين،ترجمة:وليد الجادر،(حلب:مركز الإنماء الحضاري،٢٠٠٥)،ص١٥٦.

-"إذا رأى النائم انه قد أعطاه(شخص) لحم خروف فانه سيصاب بمرض في عينيه".
-"إذا رأى النائم وقد أهداه(شخص)شحم ذئب،فانه سيصاب بمرض (*sili'tu*) الانسداد".
-"إذا رأى النائم وقد أعطاه(شخص) حساء،فستعتل صحته".
-"إذا رأى النائم في الحلم،انه قطع ثوبه الـ(*Zag*) إلى قطع فسيصاب بمرض انثقاب الأمعاء"[١٠].

ان الطقوس التي ينفذها هؤلاء السحرة أو بتعبير أدق الأطباء-السحرة ينطوي على مخاطر عدة ولكن طاردي الشياطين هؤلاء وحدهم يستطيعون كما يرى لابات بفضل تجربتهم والحماية الإلهية التي لهم،ان يتحركوا دونما خطر ضمن القوى السرية والمضرة[١١]: "حينما أدنو من المريض،حينما ادخل بيته،واضع يدي على رأسه،وافحص أوردة جسمه وعضلاته،حينما الفظ تعويذة اريدو،حينما أطلق التعويذة على المريض،ليكن على جانبي حارس خير.أناشدك نينكرسو سيد الأسلحة الإلهي.اوتوككو الشرير،الو الشرير،اطيممو الشرير،كالو الشرير،ايلو الشرير،رابيصو الشرير.فلا يدن مني هؤلاء الأشرار،ولا يجتاحون أمامي،ولا يذهبوا ورائي،لا يدخلوا بيتي،ولا يصعدوا إلى سقفي،ولا يدخلوا منزلي.(أيا كنت) أناشدك باسم السماء،أناشدك باسم الأرض"[١٢]، : "فعسى لحياتي وخلاصي،ان يسير دوما ورائي دوب-ساك-اوتوك،المنادي الحربي لـ كوللاب.(انظروا)روحا مؤاتية تسير عن يميني،وحارسا مؤاتيا يسير عن يساري.نينانا الكاتبة السماوية للعالم الأسفل أمامي،تتلو التعويذة المقدسة،بـ نينكرسو ملك الأسلحة الإلهي كونوا منشدين...حينما اجتزت عتبة(باب) المريض،حينما،أكون في البيت شمش أمامي،وسين ورائي،ونركال عن يميني،ونينورتا عن يساري،حينما أدنو من المريض،ليكن إلى جانبي روح مؤاتية،وحارسة مؤات"[١٣]،ويقول أيضا: "حينما أدنو من المريض ليسهر علي أيا،ملك الهاوية الإلهي...ليكن أمامي دوما".وهذا الطبيب الساحر بفضل الحماية الإلهية لا يتمكن أي من العفاريت الضارة ان تقترب منه وتؤذيه أثناء مقارعته إياهم: "لا يدنون مني،لا يجتاحون أمامي،ولا يذهبوا ورائي.إذا كنت على العتبة فلا تتقدم ابعد،حيثما امكث لا تمكث،حينما اجلس لا تجلس،حيثما امضي لا تمضي،حيثما ادخل لا تدخل"[١٤].

لم يكن هؤلاء الأطباء السحرة سوى المفوضين أو الوكلاء عن آلهة السحر أيا ومردوك،ولهذا كان الاشيبو يسمي نفسه في النصوص: "رجل أيا"،و: "عبد أيا"،و: "رسول أيا ومردوك"،و: "الرسول الذي

---

10) ألبدري،الطب،ص٤٦-٤٨.

١١) روتن،علوم البابليين،ص٦٢.

١٢)لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٥.

١٣) المصدر نفسه،ص١٥٥-١٥٦.

١٤) المصدر نفسه،ص١٥٧.

يأتي إلى حضرة أيا"،وكانت مدينة اريدو السومرية الموطن القديم لعبادة أيا،ولهذا كان يقال عن الاشيبو انه ولد في هذه المدينة: "الاشيبو الذي خلق في اريدو،مدينة أيا المقدسة،أنا هو"،وانه: "مطهر عبادة اريدو"، أو: "أنا متعوذ أيا،أنا أطلق على المريض تعويذة اريدو"،و: "أنا المتعوذ الذي ولدت في اريدو،الذي أنجب في اريدو،وشوبارو"،و: "الاشيبو الذي من اريدو لا ينطق إلا بالكلام الحق"،و: "أنا اشيبو اريدو ذو الأسلوب المميز في التعزيم".وكان على الساحر ان يذكر بشكل صريح حقيقة ارتباطه بآلهة السحر قبل قيامه بالطقوس: "أنا الساحر،الوكيل الأعظم،من يكمل الطقوس رسميا...إني بشير الإله أيا ومندوب الإله مردوك...أنا الساحر اليقظ ذو التمتمة الناجعة،هذا أنا"،و: "أنا رجل أيا،أنا رجل دامكينا،أنا مرسل مردوك.إنما لشفاء هذا الإنسان من مرضه،قد أرسلني السيد الكبير"،و: "أنا إنسان أيا،أنا إنسان دامكينا،أنا رسول مردوك.مناشدتي هي مناشدة أيا،تعويذتي هي تعويذة هي تعويذة مردوك،علامات أيا هي في يدي"،و: "أنا المعزم،الكاهن الكبير الذي يقوم بطهارة طقوس اريدو،أنا الرسول السائر أمام أيا،والأستاذ المتعوذ الإلهي لمردوك،والابن البكر لأيا،أنا الرسول،أنا معزم اريدو الذي تعويذته كاملة.الو الشرير إنما لاستئصالك،ولصد صدرك-أنت يا ساكن المواضع القفرة عد إلى مواضعك المقفرة-أرسلني السيد الكبير إلى هنا،إنها تعويذته التي وضع قوتها في فمي".بل انه يذكر انه مندوب عن عدد كبير من الآلهة غير آلهة السحر: "أنا إنسان نانشة،أنا إنسان نيناخوكودو"(١٥).وانه يشير في تعاويذه انه متحد مع إلهه أيا:

"وضع تعويذته الطاهرة في تعويذتي

وضع فمه الطاهر في فمي

وضع لعابه الطاهر في لعابي

وضع بركته الطاهرة في بركتي".

ويقول الاشيبو في تعويذة أخرى:

"انظر إلي يا أيا،يا ملك المياه العميقة

أنا الاشيبو عبدك

تعال إلى يميني وأسرع إلى شمالي

ضع تعويذتك الطاهرة في تعويذتي

---

(١٥) بكر،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة،ص٢٦٥؛كونتينو،الحياة اليومية،ص٤٨٤؛روتن،علوم البابليين،ص٦٣؛سامي سعيد الأحمد،المعتقدات الدينية في العراق القديم،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٨)،ص٦٤؛لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٥-١٥٨؛ألبدري،الطب،ص١١.

ضع فمك الطاهر في فمي
اجعل كلامي الطاهر طيبا
اجعل كلمة فمي شافية
مر بأن تكون طقوسي طاهرة
كن الشفاء حيثما ذهبت
وليحل الشفاء بمن المسه"[١٦].
وفي تعويذة أخرى نقرأ:
أنا المعزم أنا عبدك
سر عن يميني،واسندني من يساري
ضع تعويذتك المقدسة في تعويذتي
فمك المقدس في فمي
اجعل كلامي الطاهر مؤاتيا
اجعله يتحقق كاملا ما سيقوله فمي
مر بان تبقى طاهرة الطقوس التي سأقوم بها
عسى حينما اذهب،ان أكون سالما صحيحا
وان يكون سالما صحيحا الإنسان الذي سألمسه"[١٧].

كان الطبيب الساحر يباشر بفضل تدخل الإله مردوك الذي يمثله بمقارعة الشياطين،خلائق الفوضى لاسيما شياطين الأمراض،وذلك لإنقاذ المريض المسوك.وهو يستخدم الخطاب المباشر معها،ولم تكن الكلمات التي ينطق بها الطبيب الساحر يقولها ارتجالا بل انه من وحي الآلهة وتبقى كذلك دون ان يصيبها أي تغيير.وكان ينادي خصمه بالنيابة عن آلهة السماء والأرض،وهذا النداء يجرده من قوته،والطبيب الساحر ينادي الخصم لكي يتوقف عن تعذيب المريض،وان يرحل:
"لا تقترب من الر جل(المريض)،ابن إلهه،ولا تمل إليه
لا تضع رأسك فوق رأسه
لا تضع يدك فوق يده
لا تضع قدمك فوق قدمه

[١٦]) بكر،هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة،ص٢٦٥-٢٦٦؛لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٥.
[١٧]) لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٧.

لا تلمسه بيدك

لا تلفت عنقك نحوه

لا ترفع عينيك إليه

لا تنظر خلفك

لا تلفظ بشيء عنه

لا تدخل البيت".

بل انه في تعويذة أخرى يقول بعبارات أكثر وقعا:

"اخرج من الرجل(المريض) ابن إلهه، ولا تمل إليه

لا تجلس معه فوق كرسيه

لا تسترح فوق سريره

لا تصعد معه إلى سطح بيته

لا تدخل معه إلى بيته"[18].

وفي تعويذة ثالثة يقول: "اوتوككو الشرير، الو الشرير، اطيممو الشرير، كالو الشرير، الإله الشرير رابيصو الشرير، أو أيضا، المرض، الموت ليلو، ليليتو، اساككو، المصير السيئ(أيا كنت) ابتعد من أمامي، اخرج من هذا البيت... ابتعد من أمامي، بالسماء كن مناشدا، لا تدن من هذا الإنسان، ابن إلهه، لا تعدو إليه، بالسماء كن مناشدا، بالأرض كن مناشدا"[19]. وفي أخرى نقرأ: "اوتوككو الشرير، الو الشرير، اطيممو الشرير، كالو الشرير، الإله الشرير رابيصو الشرير لماشتو، لاباسو، اخخازو، ليلو، ليليتو، ايكتيمو، نمتار الشرير، اساككو الشرير، انتهاكات، مساوئ، سحر... ابتعدوا من أمامي"[20].

ولم يكن الطبيب الساحر يستخدم في طقوسه السحرية الكلام فحسب، بل الحركات أيضا التي تقوي بعض خوص الأشياء المعروفة، سواء فيما يخص طبيعتها أو شكلها أو اسمها، لذا كانت ثياب السحرة وألوانها والعصا تفيد في رسم الدائرة السحرية والتفوه بما يلي: "ان الدائرة السحرية التي لأيا هي الآن في حوزتي، خشب الأرز، سلاح أيا المقدس هو في يدي، غصن النخيل المستخدم في الطقوس الكبرى هو في يدي". وهكذا كانت تتوافق الأدوات المستخدمة بمظاهر عدة كأن تكون رموز القوى الإلهية، أو الشيطانية المرسومة في العمل. ونقرأ عن هذه الرموز: "شجرة الطرفاء(الأثل)هي(رمز) الإله

---

[18]) بكر، هوامش كتاب الحضارات السامية القديمة، ص٢٦٦؛ كونتينو، الحياة اليومية، ص٤٨٤-٤٨٥.

[19]) لابات، المعتقدات الدينية، ص١٥٦.

[20]) المصدر نفسه، ص١٥٦.

انو...ورأس النخيل الإله تموز...والنحاس الإله أيا،والتيس الوسيط هو خوشو(شيطان الطاعون)"[21].وهو الطاعون)"[21].وهو يقول أيضا:"في يدي احمل...السلاح السامي لأنو"،و:"احمل في يدي سعف النخيل للسلطة الكبرى"[22].هذا وان الطبيب الساحر يمارس الطقس الخاص بطرد الأرواح الشريرة وهو بملابس حمراء وهو اللون الواقي من الأرواح الشريرة،ويلبس قناعا احمر،الذي يعطيه شكلا شريرا:"يلبس الاشيبو رداء احمر"،أو يلبس جلد مثل السمكة لتأكيد صلته بالإله أيا،وربما ان الأشخاص الذين نشاهدهم في المنحوتات الأشورية الذين يرتدون أقنعة تجعلهم يظهرون مثل الرجل السمكة أو الرجل الأسد هم من الأطباء السحرة أثناء عملهم[23].ويلخص نص الأشياء التي يستخدمها الطبيب الساحر في طقوسه:"لقد سلم(الإله أيا) إلى يدي مواضع إحراق البخور السبعة للطقوس المقدسة.في يدي اليمنى امسك الغراب الطير الذي يهو نذير الإلهة،انه أرسل لي الصقر الطائر النبيل الذي امسكه بيدي اليسرى ضد نواياك الشريرة.(ضدك) التحفت بالعباءة الحمراء التي تشيع الهلع.لقد وشح أيا جسمي المطهر بثوب احمر،ثوب ذي بهاء رهيب"[24].

ان ابرز عمل يقوم به الطبيب الساحر قبل المباشرة بتنفيذ طقوسه السحرية هو كشف طبيعة المرض،بل كشف مستقبل المريض قبل كل شيء.ففي العديد من النصوص التي يطلق عليها عادة اسم جداول علامات الحظ والنحس أو نصوص الفأل نقرأ عبارة فيها:"حين يقصد المعزم بيت المريض..."،وهي عبارة نموذجية تدل على مهمة الطبيب الساحر وهو رصد الجو ما فوق الطبيعي،وكما يقول الأستاذ لابات فان الجو ما فوق الطبيعي الذي يسري فيه المريض،يسمح للمعزم ان يكشف منذ البداية تأثير شرير أو عارض سوء،بوسعه ان يوجه تشخيص الداء،ويتيح محاربته،بأسلحة مناسبة في حالة الفشل،أما في حالة النجاح،فيمنحه تفاؤلا مسبقا.والمعزم منذ انطلاقه للمعالجة،ان رأى خنزيرا اسود في الطريق،فيعني ان ذلك المريض سيموت،أما ان رأى خنزيرا ابيض،فان المريض سيحيا.وبعد رصد شتى أنواع الفأل يصل إلى لدن المريض فنقرأ:"إذا تتقدم من المريض،فلا تقترب منه لكي تشفيه ما لم تقم أولا بالرقية، ويتم ذلك بفركه بخليط من مواد عطرية وبخور،وبالقيام بطقوس واقية خشية العدوى".ثم يأتي إلى تشخيص أعراض المرض،ومع بقاء تأثيرات الفأل بادية للعيان:"ان صوتت إذن المريض اليمنى فان عقدة قد استولت عليه"،أو:"ان كانت له الشهية وهو لا يستطيع الأكل،أو ان

[21]) روتن،علوم البابليين،ص٦٥-٦٦.

[22]) لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٦،١٥٥.

[23]) كونتينو،الحياة اليومية،ص٤٨٤؛الأحمد،المعتقدات الدينية،ص٦٤؛ساكز،قوة أشور،ص٣٠٨؛ألبدري،الطب،ص١١.

[24]) لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٨.

سعاله شديدا،فان مرضه هو من صنع إنسان"،أو أحيانا يكون المريض فريسة لشيطان ما:"متى ما تألم إنسان من صدغيه وآذته عضلات رقبته،فإنها يد شيطان..."،وقد يشخص المعزم أحيانا المرض ويضع له احتمالين:"إذا اثر فيه صدغه،واستمر يصرخ بطني! بطني! إنها يد الشبح،احتمال ثان:إنها عشتار،وسيموت(إذا كانت)يد الشبح سوف يتباطأ ثم يموت".وفي حال كون المريض ممسوكا من الشيطان فان ثمة محاولة للرجوع إلى خطيئة ما في الماضي،بناء على القاعدة القائلة ان كل مريض آثم بالضرورة:"إذا كان الباب التي يرقد خلفها المريض عالية الصرير،كصوت الأسد فان هذا المريض سبق وان انتهك حرمة آلهته المقدسة وان ذلك سيؤدي به إلى الموت"،أو:"إذا لازمت حية وسادة مريض على الدوام فان هذا المريض سبق وان انتهك قدسية إلهه أو قدسية اله المدينة وسيموت في نفس السنة".ولما كانت هذه الحالة يستعصى تشخيصها وبالتالي يمتنع على المعالج التعرف على العفريت المسبب لها،لذلك صار من الضروري اكتشاف الإثم.وما ان يتحقق هذا الاكتشاف حتى يكون معادلا لإزاحة الستار على العفريت المسبب.وبعد ان يتذكر الاشيبو الأمر يأخذ في قراءة جداول الآثام،فلعل المريض قد اقترف بعضها منها عمدا أو سهوا.وما ان يشخص الذنب موضوع البحث حتى يتمكن الاشيبو من قهر العفريت الذي استغل الذنب لكي يحل في جسم المريض.ولكن ليس من الضروري ان تكون الخطيئة معروفة دائما،فنحن نقرأ:"الخطيئة التي ارتكبتها لا اعرفها،الإثم الذي فعلته لا اعرفه".ثم يقوم الطبيب الساحر باختيار الجو ما فوق الطبيعي:"يسأل السرير،ويسأل الكرسي،ويسأل مائدة الطعام،ويسأل وهو يقدم يقدحا،ويسأل شاعلا،ويسأل المشعل،ويسأل المنفاخ،ويسأل اللوح والقلم...ويسأل الحيوانات الداجنة،ويسأل الحيوانات البرية،ويسأل قنوات السقي،ويسأل الآبار،ويسأل شروق الشمس وغروبه،ويسأل آلهة السماء ومزارات الأرض"[٢٥].

وان العلاج الذي ينفذه الطبيب الساحر يتوقف على حالة المريض،ونوع العفريت الذي حل فيه،ففي حالة يتطلب وضع المرض من الطبيب الساحر ان ينفذ طقوس سحرية:"إذا لم يتوقف صدغاه الأيمن والأيسر عن الاختلاج،وكان صدره في شرسوفه(منطقة رأس المعدة) بالوقت نفسه،فان تلك إصابة الشيطان رابيصو،وإذا عالجته بسحر مناسب فانه سيشفى"[٢٦]،ولكن:"إذا ظهر على عضلات صدغيه

---

[٢٥]) رينيه لابات،التشخيص والإنذار في الطب الأكدي،ترجمة:عبد اللطيف ألبدري،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٧٦)،ص١٥؛كونتينو،الحياة اليومية،٤٨٨؛ساكز،عظمة بابل،ص٥٣٠؛روتن،علوم البابليين،ص٧٠-٧٢؛ساكز،قوة أشور،ص٣٢٢.

[٢٦]) لابات،التشخيص والإنذار،ص٣٢.

خطوط طولية أو عرضية وكان خده ساكنا فلأجل شفائه أتلو عليه تعويذة"[٢٧].وكان العلاج يهدف إلى غايتين:

١.إرضاء الإله الغاضب ومصالحة مريضه معه،وبمعنى أخر إعادة المريض إلى إلهه الحامي،وهناك نص يوضح ذلك بجلاء:"إلى شمش أول الآلهة،رده(أي الكاهن)،وليول شمش أول الآلهة صحته إلى يدي إلهه الحامي".

٢.طرد الشيطان الذي استولى على جسد المريض،وهذا يتم عن طريق عدد من الطقوس السحرية[٢٨].

كانت عملية إرضاء الإله تتطلب أولا غفران الإله عن الشخص المريض،ويتم ذلك بواسطة صلاة ترافق تقديم ضحية ما.وان طرد الشيطان يتم عن طريق الطقوس فالكلمات والطقوس لدى البابليين في الحقيقة هي ذات قوة واقعية[٢٩].

وقد ابتدع السحرة القدماء عدد من الطقوس السحرية،التي يرد لها وصفا في النصوص المسمارية،والتي من خلالها نعرف ان المعزمين المختصون بطرد الأرواح الشريرة التي تصيب الإنسان.

كانت عملية التعزيم تجري في المعبد(كان المعبد الذي تتم به طقوس طرد الشياطين يسمى بيت رمقي)[٣٠] أو في بيت المريض حول فراشه:"يدور الاشيبو حول سرير المريض وكذلك الاشيبو الثاني وخلفهما حملة مشاعل البخور"،وفي بعض الحالات فوق سطح البيت،أو في كوخ من القصب:"يأخذ الاشيبو بيد المريض ويدخله كوخ القصب"،أو بجانب النهر،وأحيانا في البرية:"يذهب الاشيبو إلى العراء ويهيئ لتحضير بيت الاغتسال"، أو المقابر التي ترمز إلى عالم الأموات.وربما كانت تنفذ في مكان مظلم،وهذا أمر يمكن افتراضه إذا ما رجحنا ان ما قام به گميل-نينورتا في قصة فقير نفر هو طقس سحري وليس طبي:

"(فقال گميل-نينورتا) سيدي لا يمكن ان ينجح علاجي إلا في الظلمة

حيث(؟)...والطريق مظلم

فأخذه في غرفة خاصة

حيث لا يشفق عليه أصدقاءه ولا أصحابه

(ثم) رمى ألـ...في وسط النار

---

[٢٧]) المصدر نفسه،ص٣٣.

[٢٨]) روتن،علوم البابليين،ص٧٢؛ جورج بوييه،المسؤولية الجزائية في الآداب الأشورية والبابلية،ترجمة سليم الصويص،(بغداد:شركة المطابع النموذجية،١٩٨١)،ص١٥٣.

[٢٩]) روتن،علوم البابليين،ص٧٢.

[٣٠]) حنون،عقائد ما بعد الموت،ص٢١٧.

ودق خمسة أوتاد في الأرض الصلبة

وشد يديه ورجليه ورأسه"[٣١].

وفي كل الأحوال تؤكد النصوص المسمارية ذات العلاقة ضرورة تطهير المكان قبل كل شيء.كما يظهر من تلك النصوص ان إشعال النار أثناء التعزيم كان واحدا من الطقوس الفعالة لطرد الشياطين والأرواح الشريرة من جسم المريض،فبعد إشعال النار يقوم المعزم بدعوة واستشارة آلهة النار الثلاثة كيررا-كيبل-نوسكو(*Girra-Gibil-Nusku*)للانقضاض على تلك الأرواح وطردها.وفي حالات يطلب الاشيبو من المريض بصلا وتمرا وصوفا،وشعر ماعز،ليرميها في النار.وهناك طرق سحرية أخرى كان يلجأ إليها المعزمون لشفاء المريض منها ان يصنع المعزم دمية من الشمع تشبه المريض ثم يدفنها في المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة التي سببت له المرض.وان الغرض من هذه العملية السحرية تحقيق هدفين،الأول القيام بدفن رمزي للروح الشريرة لإعادتها إلى مقر الأموات في العالم الأسفل،والثاني إيهام الروح الشريرة بان المريض قد مات وانتهى أمره.أو يقوم أحيانا بصنع تماثيل صغيرة للعفاريت المراد إخراجها من جسد المريض،وهذه التماثيل تعذب وتحطم بتلاوة جملة عليها،والطبيب الساحر جالس داخل دائرة اختطها بعصاه السحرية ممسكا بخشبة أو غصن نخلة: "بيدي احمل دائرة سحر أيا،بيدي احمل عصا الصنوبر،سلاح أيا المقدس،بيدي احمل غصن شجرة الشعائر العظيمة". وهناك وسائل أخرى يستخدمها الطبيب الساحر في تنفيذ العلاج منها استخدامه التعاويذ في طقوسه السحرية: "ليزل شر الرأس الذي في جسد الإنسان،كالقذى الذي يذريه الريح،فلا يعد بعد إلى موضعه.ليكن مطرودا باسم السماء وأسم الأرض،ليكن مطرودا"[٣٢].وفي حالات يضع الطبيب الساحر على رأس وقدم المريض خيوطا من الصوف الأسود والأبيض يلقونها بعد ذلك في البرية كطقس تكفيري[٣٣].أو تربط حلقة إلى الأيدي والقدمين،وقد يربطون خيوطا من صوف الحمل الصغير برأس أو برقبة أو أيدي وأعضاء جسم المريض وحول فراشه[٣٤].وهناك طريقة تتمثل في القراءة بصوت عال لقائمة من الهدايا التي سوف يتسلمها العفريت حال خروجه من جسم المريض،وبالطبع فان الهدف هنا إعطاء هدايا غير مادية،وهذا تطبيق لنفس مبدأ قوائم النذور الموجودة على الأضرحة المصرية القديمة والتي يلتمس من المارة قراءتها.وهكذا نجد مثلا ان العفريتة لماشتو قد قبلت الرشوة المتضمنة تقديم ما يلزمها من مئونة في رحلتها إلى العالم

---

[٣١]) حول هذا المقطع من قصة گميل -نينورتا انظر: فاضل عبد الواحد علي، "من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين"، مجلة سومر، م: ٢٦، لسنة: ١٩٧٠، ص٩٨.

[٣٢]) روتن، علوم البابليين، ص٧٢

[٣٣]) الأحمد، المعتقدات الدينية، ص٦٤.

[٣٤]) المصدر نفسه، ص٦٨.

الأسفل،كما أعطيت هذه العفريتة حلي وحمارا تقطع به الصحراء وزورقا لعبور المياه الموجودة تحت الأرض[٣٥].ونقرأ في نص عن قيام الطبيب الساحر بجملة من الطقوس،منها إفزاع المريض،أو صفعه،وحتى الصراخ عليه،ولم يكن لهذه الطقوس سوى هدف واحد هو إخافة العفريت الذي سبب المرض وإجباره على مغادرة جسد المريض:"حينما أدنو من هذا المريض،وادرس أوردته وعضلاته،وافحص جسمه،حينما انضح المريض بمياه،حينما افزع المريض،حينما اصفع المريض،حينما اصرخ على المريض"[٣٦].ومن هذا المنطلق يمكن ان نفهم ما قام به گميل-نينورتا عندما ادخل محافظ نفر في غرفة مظلمة من اجل معالجته فانه:"اخذ يضرب كل جسمه من رأسه إلى أخمص قدمه(حتى) أوجعه"[٣٧]،بأنه طقس سحري.ونقرأ عن هذه الحالة في نص سحري يقول:"يلوح الاشيبو بالسوط ويتلو التعويذة(حقا انك خبيث)"[٣٨].فضلا عن ذلك كان الطبيب الساحر قد يوصي المريض بالقيام بطقس تطهيري من اجل الشفاء،ففي رسالة موجهة من كاهن إلى ملك بسبب إصابته بمرض خطير مؤذ جاء فيها:"الحمى،اخف وطأة لقد إصابتك نتيجة خطيئة،فليحلق مولاي الملك اليوم".والعبارة تشير إلى طقس تكفيري،إذ نقرأ عن قيام الخاطئ بحلق شعره الذي لامسته الخطيئة في إناء،محكم الإغلاق ويطرحه في ابعد مكان ممكن،وبهذا يتطهر الخاطئ،وقد جاء في احد هذه الطقوس:"خلال ثلاثة أيام يتلو الملك صلاة التوبة صباحا،ومساءً،وعشية الليلة الأولى،يغتسل بالماء،ويحلق ويرتدي ثيابا نظيفة"[٣٩].ومن الطقوس الأخرى التي ينفذها الطبيب الساحر هي قيامه بشد العقد إلى المرأة الحامل لإعطائها القوة ضد عدوها من العفاريت،ونقرأ عبارة في نصوص مقلو:"حلت عقدتها،وأبطل سحرها الذي ملأ البرية"[٤٠].وفي بعض الحالات يلجأ الطبيب الساحر إلى الزيت كوسيلة للعلاج إذ يدهن جسم المريض بالزيت ويتلو معه صيغة سحرية[٤١].

---

[٣٥]) كونتينو،الحياة اليومية،ص٤٨٩.

[٣٦]) لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٦.

[٣٧]) علي،من أدب الهزل والفكاهة،ص٩٨.

[38]) ألبدري،الطب،ص٦٢.

[٣٩]) بوييه،المسؤولية الجزائية،ص١٩٣.

[٤٠]) الأحمد،المعتقدات الدينية،ص٦٦.

[٤١]) المصدر نفسه،ص٦٨.

لم يكن الطبيب الساحر وهو يمارس طقوسه السحرية قادرا على شفاء مرضاه بدون مساعدة الآلهة لذا نجده يتضرع لكل القوى العليا لمساعدته: "لتشف نيناخوكودا أخت انو،ونانشة سيدة الإناء المقدس للمياه المطهرة،ومردوك ابن اريدو(ليشفوا) هذا المريض"(٤٢).

ويمكن ان نستشهد بعدد من الأدلة التي توضح عمل الطبيب الساحر في وادي الرافدين،إذ يزودنا لوح برونزي محفوظ في باريس يحتوي على ثلاثة أفاريز منحوتة بطقوس طرد الشيطان من جسد المريض،فالمنحوتة يعلوها رأس شيطان مرعب مجسم النحت،وفي الإفريز الأعلى منه توجد رموز تمثل الآلهة(انو-أيا-ادد-مردوك-نابو-عشتار-سين-والآلهة السبعة)،وفي الإفريز الثاني يظهر مجموعة من سبعة شياطين بهيئة حيوانات مركبة،وفي الإفريز الثالث يبدو بوضوح طقوس طرد الشياطين،حيث مدد الشخص المبتلى بملاحقتهم على محفة عالية ووقف عند طرفها كاهن يرتدي ثوبا مفصلا بهيئة سمكة وبجانبه يوجد مذبح يحتوي على مصباح،بينما وقف احد الشياطين خلف الكاهن.وعند رأس المريض وقف كاهن أخر بوضع يصد فيه شيطانين يحاولان الهجوم على الشخص المدد.وفي الأسفل يبدو مشهد تظهر في طرف منه جرتان وقدح وقربة ماء وأطعمة متنوعة يبدو إنها كانت قرابين مقدمة للشياطين لإقناعها بالكف عن مهاجمة الضحية.أما المشهد الممثل لظهر اللوح فيقتصر على تصوير ظهر الشيطان المجنح الذي يطل رأسه المجسم على وجه اللوح(٤٣).من هذا اللوح يمكن ان نستنتج ان علاج المرض قد ينفذه أكثر من طبيب ساحر ويدعم هذا القول طقس مورس ورد ذكره في لوح يقول: "الاشيبو الذي يقف في يمين الدار،والاشيبو الذي يقف في شمال الدار يتلون التعويذة(العاصفة النكباء)،أما بقية الاشيبو الآخرين فيتلون تعويذة(الشبح الكبير اوتوككو)"(٤٤).

في بعض الأحيان يلجأ السحرة في العلاج إلى إتباع طريقة البديل(*puhu*) أي توفير شيء أخر يحل فيه الشيطان أو الروح الشريرة بدلا من جسم المريض،والبديل في الغالب يكون حيوانا كالجدي أو الخنزير والحمل مثلا،وأحيانا مواد أخرى مثل القصبة،أو تمثال طيني،أو دمية الشمع للمريض أو للروح الشريرة،بل حتى الجرذ،قد صنع السحرة الأشوريون بالعجين ما يشابه شكل المريض،ورشوه بالماء وعاملوه كبديل عن المريض وحمّلوه بعد تلاوة العبارات الخاصة بالخطيئة التي سببت علة المرض،فوسط قراءة التعاويذ وأداء الطقوس السحرية يقدم المعزم الجدي فدية وبديلا للرجل المريض،عندئذ يخرج الشيطان من جسمه ليحل في الجدي وبذلك يشفى من المرض،وهناك نص يوضح

---

(٤٢) لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٧.

(٤٣) موسكاتي،الحضارات السامية القديمة،ص٧٨؛حنون،عقائد ما بعد الموت،ص٢١٧-٢١٨؛ألبدري،الطب،ص٦٢.

(44) ألبدري،الطب،ص٦٢.

هذه الحالة بشكل جيد: "الجدي هو بديل البشر،لقد أعطي الجدي من اجل حياته،أعطي رأس الجدي بدلا من رأس الرجل،أعطيت رقبة الجدي بدلا من رقبة الرجل،أعطي صدر الجدي بدلا من صدر الرجل".وهذا يعني ان الحيوان المضحى به قد اخذ خطيئة المريض على عاتقه،لذا فان الإله سيرضى عنه(٤٥)،وبتعبير آخر فان الحيوان المضحى قد أدى دورين في ان واحد فهو أضحية مقدمة للإله لاسترضائه من جهة،ومن جهة ثانية يمثل بديل يهدف إلى خداع الشيطان بجعله يموت بدلا من المريض،عن طريق ذبح الحمل وإيهام الشيطان بموت المريض،فضلا عن توفير مسكن جديد للعفريت.ونقرأ في نص عن الخطوات التي يقوم بها المعزم من اجل طرد العفريتة لماشتو من جسد مريض عن طريق استخدام مبدأ البديل: "عليك تطهير المكان أولا ثم خذ شيئا من الطين واصنع دمية للماشتو وضعها عند رأس المريض،وأملا مبخرة بالرماد ودس فيها خنجرا تم اتركها عند رأس المريض ثلاثة أيام.وفي اليوم الثالث،وعند انتهاء النهار،خذ الدمية واطعنها بالخنجر ثم ادفنها في الزاوية عند الجدار"(٤٦).وفي أخر نقرأ: "رقية من اجل لماشتو:طقوسها تعمل تمثال لابنة انو(لماشتو) من طين حفرة،وتصنع تمثال حمار من طين حفرة،وتزوده بالعلف...تصنع شرابا من الخبز والجعة،وتذبح خنزيرا صغيرا وتضع قلبه على فم ابنة انو ولمدة ثلاثة أيام تتلو التعويذة أمامها ثلاث مرات،وفي اليوم الثالث،وعند نهاية اليوم تجعلها تخرج إلى العراء"(٤٧).وهناك نصا أخر يشرح الطقوس الواجب تنفيذها لإبعاد شبح ميت من جسد المريض: "إذا ظهر شبح احد الموتى لشخص وإذا عرفه هذا الشخص أو لم يعرفه فلأجل إبعاد هذا الشبح تصنع دمية تشبه ذلك الميت،وتوضع فوق فراش المريض،وفي اليوم الثالث تكنس الأرض في الظهيرة أمام شمش وترش بالماء النقي ويقام مذبح صغير توضع فوقه كمية من التمر وتنثر كمية من الطحين ثم تشعل مبخرة فيها عصير شجرة السرو وتسكب جعة من نوع جيد،وبعد ذلك تلعن الدمية بالكلمات التالية: شمش!انك دليل هذا الميت في العالم الأسفل،وفي العالم الأعلى فامنحني(حلا لحالتي)،انه مرعب،قبيح المنظر،بغيض ومخيف ليلا،إنني أتوسل إليك واطلب ان تجعله مكاني،بحياة شمش ليبتعد عني.وتكرر هذه الصيغة ثلاث مرات،ثم تكفن الدمية وتدفن في

---

٤٥) كونتينو،الحياة اليومية،ص٤٨٩،٤٨٥؛ساكز،عظمة بابل،ص٣٤٥-٣٥٠،٣٤٦؛روتن،علوم البابليين،ص٧٢؛ فاضل عبد الواحد علي،"العرافة والسحر"،بحث ضمن موسوعة: حضارة العراق،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٨٤)،ج١،ص١٧٦-١٧٧؛ حنون،عقائد ما بعد الموت،ص٢١٩؛ الأحمد،المعتقدات الدينية،ص٦٥-٦٧؛ألبدري،الطب،ص١١؛بوتيرو،الديانة عند البابليين،ص١٥٧.

٤٦) ساكز،عظمة بابل،ص٣٤٩؛علي،العرافة والسحر،ص١٧٥-١٧٦؛ الأحمد،المعتقدات الدينية،ص٦٧.

٤٧) ساكز،عظمة بابل،ص٣٤٩.

ظلال شجرة سدر ذات أشواك..."[48].وفي طقس أخر يستخدم فيه الطبيب الساحر للدمية كبديل للإنسان،ويتم هذا الطقس عن طريق تشخيص الشبح الذي سبب المرض،وكانت تؤخذ قطعة طين من الأرض وتطهر وفق المراسيم الخاصة وذلك بإقامة الطقوس وتلاوة التعاويذ لمدة ثلاث أيام،وفي اليوم الرابع يصنع منها التمثال الخاص بالشبح،وكان التمثال يدمج بالشبح وذلك بكتابة اسمه على فخذه الأيسر ولكي يفقد الشبح قوته كانت تلوى قدميه ويرمى على الأرض ويوضع سن كلب في فمه لسده.وتوضع دكة في الموضع الخاص حيث يسكب الشراب إلى الإله شمش،ويتلو الكاهن ثلاث مرات:"أنا ادعوك باسم الإله شمش في غروبه ان تترك جسد فلان ابن فلان،اذهب واتركه!".ثم يضيف:"هكذا تقول وتدفن ذلك التمثال في حجر عند غروب الشمس وسوف لن يرى ذلك الرجل شبح الميت طالما كان على قيد الحياة"[49].وهناك طقس يقدم معلومات ثمينة عن إجراءات طرد روح من جسد المريض:"إذا قبضت روح على إنسان وضايقته أو...قبض عفريت عليه،أو امسك شيء شرير يده ولا يريد الافتراق عنه،فعليك ان تأخذ ترابا من مدينة خربة،وبيت خرب،ومعبد خرب وبستان مهمل وجدول مهمل،ودرب مهمل؛اخلط ذلك بدم ثور واصنع تمثالا للشيء الشرير.والبسه جلد أسد،وانظم حجرا من عقيق احمر وضعه حول رقبته واجعله يمسك كيسا من الجلد وجهزه بالمئونة واجعله يقف على سطح بيت المريض،وصب(شرابا) وانصب ثلاثة أعمدة من خشب الأرز إلى جوانبه(لتشكل منصبا ثلاثي القوائم) وأحطه بدائرة من الطحين.وعند الغروب غطه بـ... قدر لم يطبخ فيه شيء(يحتمل انه قلب على المنصب الثلاثي القوائم)...مشماشو سوف...أشعل ثلاثة أيام،في النهار،مبخرة فيها صمغ العرعر بين أيدي شمش،وكدس في الليل طحين الحنطة بين(يدي نجوم الليل)،واتل بين يدي شمش والنجوم،ثلاثة أيام،من اجل المريض:أيها الشيء الشرير،انك من هذا اليوم مفصول عن جسم فلان ابن فلان،منبوذ...ومطرود.الإله أو الإلهة الذي وضعك(هنا) قد فصلك عن جسم المريض.وفي اليوم الثالث،عند الغروب ضع معدات القربان بين يدي شمش.ويرفع المريض التمثال بين يدي شمش،ويكرر ما يلي:رقية:شمش...يا قاضي السماء والأرض...يا من يهب النور إلى الناس؛إذا غربت،انقطع النور عن الناس...وإذا طلعت تدفأ البشرية جمعاء،الأنعام وكل شيء حي في البرية،تذهب إليك،فتهبها الحياة.أنت تحكم في قضايا الخاطئين،رجالا ونساء؛انك تحكم عليهم بالعدل.إني فلان ابن فلان،أنوء بهم بشدة،فقد الّم بي بلاء...لان الارتجاف والدوار والبدن المريض،والتهاب المفاصل واضطراب العقل،قد أثقلني،وجعلني لا انقطع عن الأنين كل يوم...فاحكم في قضيتي،اصدر حكما من

---

[48]) حنون،عقائد ما بعد الموت،ص١٢٧-١٢٨؛بوتيرو،الديانة عند البابليين،ص١٥٧-١٥٨.

[49]) ساكز،عظمة بابل،ص٣٤٨.

اجلي،الحكم(في صالحي)...هكذا تجعله يقول.ضع التمثال في وعاء وصب عليه اللعنة وقل:أصابتك لعنة السماء،أصابتك لعنة شمش.ثم اختم فم الوعاء...وادفنه في ارض بور مهجورة"(٥٠).في النص معالم مختلفة فيها نظر،لكن المبادئ الرئيسة تبدو واضحة.فقد أغري العفريت الذي تدخل في حياة الرجل،ان يستقر في التمثال الذي صنع من تراب ودم ثور،واتخذت خطوة سحرية في شكل جلد أسد والجوهرة الحمراء،ودائرة الطحين لضمان عدم استطاعته الخلاص والهروب فيما بعد(٥١).وفي طقس أخر نقرأ:"اصنع تمثالا للشيطان من الطين والبسه لباسا حسنا،وقدم له أنفس الأطعمة وذلك لتغري الروح بترك المريض،والتقمص في التمثال،ثم خذ هذا التمثال بهدوء خارج البيت وأتلفه هو والروح المتقمصة فيه"،وفي أحيان أخرى لا يتم إتلاف الدمية التي تمثل العفريت،بل حرقها:"اصنع تمثالا من الصوف والعجين والبسه لباس المريض،وأقرأ عليه الدعاء التالي...عند ذلك ستترك الروح المريض وتسكن الشبيه،وخذ هذا التمثال بعيدا واحرقه"(٥٢).ويشير طقس إلى إخراج اشيبو لشبح ميت(اطيممو) وذلك بان يذهب الاشيبو إلى البرية في يوم ذي طالع حسن بعد ان يغتسل بالماء الطاهر،ويكنس المكان بسعفة،ثم يعمل للمريض شكلا من الطين ويلبسه ملابس ويضع أمامه سبعة أرغفة لأكله ومغزلا وستارا ومسمارا ثم يربطها إلى رأسه،ويضع مذبحا أمام الإله شمش مع وجبة ومبخرة يحرق بها عشبا طيب الرائحة،ثم يتلو التعاويذ باسم أيا ومردوك ثلاث مرات،ويقطع عقدة ثوب مريضه ويأخذ ورغيفا مطبوخا في رماد وكأسين مليئين برغوة البيرة ويربط شكل المريض بغصن صفصاف ويقرأ عليها تعاويذ قصيرة وأخرى طويلة،ويستنجد بكل آلهة عالم الأموات(٥٣).وهناك نص نموذجي يشرح استخدام البديل الحيواني في الطقوس بشكل مفصل:"لبديل إنسان لايريشكيكال(ربة العالم الأسفل) عند الغروب يجعل المريض جديا يتمدد معه في المنام.وفي نهاية الليل،تستيقظ عند الفجر.وستتمدد نحو الجانب الأخر(من السرير) وسيأخذ الرجل المريض الجدي في حضنه(في حالة الرجل والمرأة)[ان المصطلح المستخدم قد يعني بالتأكيد ان الرجل يمارس الجنس مع المرأة،وفي حالة الجدي،فمن المحتمل ان الرجل اتخذ وضعا يشير إلى الممارسة الظاهرية فقط غير الفعالة إلا إنها كافية لخداع القوى الشريرة].ثم تجعل الرجل المريض والجدي يتمددان على الأرض،وسوف تلمس حنجرة الرجل المريض بخنجر من خشب الطرفاء[فقد كان خشب الطرفاء خشبا سحريا]،وستقطع حنجرة الجدي بخنجر من النحاس.وسوف تغسل أحشاء المصاب(الجدي) بالماء،وسوف تدهنه بالزيت وسوف تملأ أحشاءه بالتوابل،وسوف تكسوه

(٥٠) ساكز،الحياة اليومية،ص٢١٧-٢١٨.

(٥١) المصدر نفسه،ص٢١٨.

(52) ألبدري،الطب،ص٦٣.

(٥٣) الأحمد،المعتقدات الدينية،ص٦٦.

بالألبسة،وسوف تلبسه حذاءاً،وسوف تكحل عينيه،وسوف تسكب زيتا حلوا على رأسه،وسوف تأخذ عمامة الرجل المريض وتثبتها على رأسه،وسوف تعامله بلياقة كأنه رجل ميت.وسيقوم الرجل المريض ويخرج من خلال الباب،وسيتلو الاشيبو ثلاث مرات التعويذة: ذلك الشخص،قدسه الإله.سيصرخ الاشيبو على فلان ابن فلان الرجل المريض،سيقول: لقد ذهب إلى اجله.وسيقيم مناحة،وستقدم قرابين الجنازة ثلاث مرات إلى ايرشكيكال.وستضع أكلة عصيدة الشعير لا تزال حارة،سوف تثني وتبجل (الميت)،سوف تسكب قربانا من الماء والجعة والذرة المشوية والحليب والعسل والزبد والزيت.وستعمل قربان جنازة لشبح عائلتك.سوف تعمل قربان جنائزي للجدي.وسوف تتلو أمام ايريشكيكال التعويذة: شيشكال(*Šešgal*)(وهو اسم مرادف للاشيبو)،هو أخوه،وسوف تعامل الجدي بلياقة كما لو كان حيا،ومن ثم تدفنه"[٥٤].وفي نص أخر نقرأ: "اذبح خنزيرا رضيعا وضعه عند رأس المريض،واستخرج قلبه وضعه على قلب المريض وبدمه ألطخ جوانب المريض،وضع كل عضو من أعضاء الخنزير على ما يماثله من أعضاء المريض،ودع الأرواح تأخذ البدائل وننرك المريض"[٥٥]. ومن الأمثلة المفصلة عن طقس إزالة روح شريرة عن طريق عدد معقد من الطقوس التي من الصعب فهم مغزاها كما نقرأ في النص التالي: "من اجل اله جامح يجلس على رجل ويمسك فمه(و)لا يتمكن من ان يأكل طعاما أو يشرب ماءً،يربطون ذكر الماعز(أو جدي) البالغ عند رأس سريره ويقطعون عصا من البستان ويجدلون خيوطا ملونة على العصا ويملاؤون كوبا بالماء ويكسرون غصنا من البستان ويضعون العصا وكوب الماء والغصن ثلاثتهم في مدخل المدينة(ابوللي صادراتي)(أي بوابة الأبد)...ثم يحمل الحمالون ذكر الماعز البالغ والغصن والعصا وكوب الماء إلى ارض متروكة(أو إلى حافة الصحراء) ولا يأخذونها جميعا إلى منطقة ريفية واحدة بل يفصلون العصا وكوب الماء عن بعضهما البعض ويحملون الغصن وذكر الماعز البالغ إلى المنطقة الريفية(التي تقع) على الطريق الرئيس.ويذبحون ذكر الماعز ويأخذون الأظلاف مع الجلد ويقطعون الرأس(ثم) يطبخون اللحم ويملاؤون آنية برونزية بالعسل والدهن ويجلبونها (إلى هناك)(ثم يلبسون الغصن بالجلد ويربطون الأرجل الأمامية بالأوتار(المصارين؟)) ويحفرون حفرة يسكبون العسل والدهن فيها،ثم يقطعون الأرجل الأمامية ويضعونها في الحفرة..." ان بقية النص مهشم إلى درجة لا يسمح بإعطاء ترجمة لها غير ان خاتمة النص باقية وتنص على: "سيعيش ذلك الرجل ويذهب الإله الذي عليه(ومن ثم) يفتح فمه ويأكل طعاما ويشرب ماء".هنا نجد مبدأ البدل مكتملا بعض الشيء.فذكر الماعز

---

[٥٤]) ساكز،عظمة بابل،ص٣٤٥؛حنون،عقائد ما بعد الموت،ص٢١٨–٢١٩؛ساكز،قوة أشور،ص٣٠٥–٣٠٦؛ صموئيل هنري هوك،"ديانة بابل وأشور"، بحث ضمن موسوعة: تاريخ الأديان،تحرير: فراس السواح،(دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،٢٠٠٧)،ج٢،ص٢٥٢.

[55]) ألبدري،الطب،ص٦٣.

أو الجدي يمثل هنا الإله هو وغصن البستان هو تموز أو عشتار،وربما الأخيرة،ويدفنان رمزيا في الصحراء،ويتم تواحد المريض مع تموز على أتم ما يمكن،والنتيجة النهائية الشفاء من المرض[٥٦].وتشير الطقوس السحرية الخاصة بمبدأ البديل الحيواني خاصة إلى ثلاثة مفاهيم تترابط فيما بينها بخصوص موت الضحية(أي البديل الحيواني).فهناك أولا الفكرة التي تقول ان الضحية ترمز إلى الإله تموز،وإذ يتوحد المريض مع الضحية،ينتقل منه المرض أو الإثم إلى الإله.وهنا يقتسم المريض رمزيا مع الإله تموز آلامه وموته وانبعاثه،وبذلك ينال الخلاص.وهناك ثانيا فكرة تهدئة الغضب،إذ يمكن الافتراض ان قوى العالم الأسفل المعادية قد رضيت بالبديل ودلالة على ذلك عبارة نقرأها في الطقوس السحرية تقول بصراحة: "بوخو من اجل ايرشكيكال".وهناك ثالثا نشوء فكرة الإفادة من جسد الضحية أو دمها حيث هي وسيلة تطهير[٥٧].

لقد كان رش الماء على المريض،هو من الطقوس الدينية القديمة التي يمارسها الاشيبو في العلاج وقد بدأت في اريدو،وكانت تهدف للتقرب من الإله ايا اله المياه والأعماق من اجل معونته في إزالة الأرواح من الجسم بهذا الماء.وكان الرش يصاحب عادة بتلاوة مختلف التعاويذ والأدعية وممارسة الطقوس: "لقد أتموا إجراء العديد من طقوس نامبوربي وطقوس بيت الاغتسال وطقوس رش الماء فضلا عن طقوس التاشيب والتفجع،هذه كلها مسطرة في متن طقوس الرقيم"[٥٨].ونقرأ عن طقس يدعى طقس أيا وفيه يأخذ الطبيب الساحر ماءً من دجلة والفرات ويرشه على جسم المريض مصحوبا بقراءة تعابير خاصة[٥٩].وفي نص نقرأ عن طقس لشفاء مريض يقتصر على تنفيذ طقوس للتطهير،ففي قصيدة أيوب البابلي يشاهد هذا المعذب في الحلم كاهنا يقوم بممارسة طقس من اجل شفائه من مرضه،ويبدو من سياق الحلم ان هذا طقس كان يمارس في بلاد بابل قديما:

"(ظهر أمامي) كاهن-مطهر

وهو يمسك (في) يده الأثل المطهر

وقال لي:طاب اوتول اينليل مطهر نيببور

أرسلني إلى هنا كي أطهرك

(سكب) علي الماء الذي كان يحمله

---

[٥٦]) ساكز،عظمة بابل،ص٣٤٩-٣٥٠؛هوك،ديانة بابل وأشور،ص٢٥٢-٢٥٣.

[٥٧]) هوك،ديانة بابل وأشور،ص٢٥٣.

[58]) ألبدري،الطب،ص٦٣.

[٥٩]) الأحمد،المعتقدات الدينية،ص٦٨.

وأطلق تعويذة الحياة ودلك بجسمي"[٦٠].

ومن الطرق الأخرى في العلاج طريقة شائعة في الطقوس السحرية غير إنها لا تنطوي على طقوس معقدة، بل يكتفي الشخص المريض بوضع عدد من الحاجيات لشبح الميت من اجل مفارقته لجسد المريض. ففي طقس نقرأ: "يا شمش ان الشبح(اطيممو) المرعب الذي جثم على ظهري منذ عدة أيام لا يرخي قبضته عني، انه يلاحقني طول النهار ويرعبني طول الليل، ان اضطهاده لي مستمر بلا انقطاع، انه يهاجم جبهتي ويجعل وجهي متقدا، لقد جفف ريقي، وايبس لحمي وأنهك جسدي كله. فسواء كان شبحا لواحد من أقاربي أم كان شبح رجل مات ميتة قاسية أم كان شبحا تائها، فانا أتضرع إليك يا شمش ان تخلصني منه لقد هيأت ما يحتاجه: ثيابا للبسه، صندلا لقدمه، وحزاما جلديا لعورته، وقربة لشربه، وأعددت شعيرا لرحلته، دعه يذهب هناك، حيث مغيب الشمس(أي العالم الأسفل) ليودع إلى نيدو رئيس حجاب العالم الأسفل، وعسى نيدو ان يشدد قبضته عليه، عسى مفتاحه ان يغلق القفل عليه"[٦١].

وفي طقس أخر نقرأ فيه أيضا عن طرد شيطان تيئو من جسد المريض، يبدأ الكاهن بالتضرع لهذا الكائن فوق الطبيعي الذي هو أساس المرض ثم يبدأ العلاج. فيقول للمريض: "عند غروب الشمس غط رأسك برداء، وغط بطيخة وأحطها بالطحين، وعند طلوع الشمس أخرجها وخذ بذرها وخذ شعر جسم غير وسخ وضعه على رأس المريض، ضعه على رقبة المريض وذلك حتى يزول عنه وجع الرأس الذي في الجسم، لتحمله الرياح كما تحمل قشة العشب وليطرد من السماء والأرض معا"[٦٢].

وفي طقس أخر وصلنا من رسالة كتبها اشيبو إلى احد الملوك الأشوريين فيها يقوم الاشيبو بطقوس متنوعة لطرد احد العفاريت من جسد المريض: "حول الطقوس الخاصة بالتعويذة المعنونة: حقا انك شرير التي أرسل إلي الملك سيدي رسالة بخصوصها، أنها تتم لطرد عفريت الألو الشرير، ومرض السقوط(ربما الجذام)، عندما يلمسه ش(الشخص المصاب)، سيقوم الاشيبو ويعلق فأرا وغصن شوك الجمل على اسكفة الباب، سيرتدي الاشيبو ألبسة حمراء، ويضع قناعا احمر. سيمسك بغراب في يده اليمنى، وصقر بيده اليسرى... سيرتل التعويذة: حقا انك شرير، وعندما ينتهي فانه اشيبو ثان يقومان بدورة حول سرير الرجل المريض، بمبخرة ومشعل إلى جانبهما وسوف يرتل التعويذة عفريت

---

[٦٠]) لابات، المعتقدات الدينية، ص٤٠٤-٤٠٥.

[٦١]) حنون، عقائد ما بعد الموت، ص١٨٣؛ فراس السواح، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، (دمشق: منشورات علاء الدين، ٢٠٠٢)، ص٣٢٢.

[٦٢]) بوييه، المسؤولية الجزائية، ص٢٠١.

خولتوببو(*hultuppu*) اخرج! حتى الباب.وعليه ان يضع رقية على الباب،وحتى يطرد الشر عليه ان يعمل ذلك صباحا ومساءً"(٦٣).

وفي طقس ينفذ الطبيب الساحر طقسا باستخدام النار لالتهام المرض:"قد وضعت لعنة شريرة،على هذا الرجل كعفريت الكالو".ثم تذكر الأعراض:

"لقد وقع عليه صمت مدوخ

صمت ضار،لعنة شريرة،سحر صداع

لقد ذهب عنه إلهه

ووقفت جانبا إلهته التي ترعاه

لقد غطاه كالهواء صمت مدوخ".

ثم يلاحظ الإله مردوك الرجل فيذهب إلى أبيه أيا وأوجز له الموقف،الذي يعطيه تعليمات العلاج:

"اذهب يا بني مردوك

خذه إلى بيت الاغتسال الطاهر

فك سحره،فك سحره

حتى الشر الفعال في جسمه

سواء أ كان لعنة أبيه أو لعنة أمه أو لعنة أخيه الأكبر

أو لعنة قتل رجل لا يعرفه

بسحر الإله أيا

دع اللعنة تنتشر كهذه البصلة

دعها تنفصم كهذه التمرة

دعها تُفل كهذه الفتيلة".

ثم يتبع ذلك تعاويذ مستقلة لكل مادة مذكورة(كالبصل،والتمر،والفتيلة)،وكذلك لبعض المواد التي لم تذكر سابقا(كلفات الصوف،وشعر الماعز)،ويبدو ان الكاهن كان يقوم بإجراءات رمزية للتخلص من اللعنة الشريرة:

"تعويذة كهذه البصلة التي يقشرها ويرميها في النار

فتلتهما النيران تماما...ولن تمسك

جذورها في التربة،ولن تتفتح براعمها

---

(٦٣) ساكز،قوة أشور،ص٣٠٧-٣٠٨.

حتى لا تستعمل لطعام اله أو ملك،لعل القسم واللعنة

... والمرض والتعب والذنب والخطيئة

والشر والإثم والمرض الذي في جسمي

أو في لحمي أو أطرافي ينتشر كهذه البصلة لتلتهما النار

اليوم لتبتعد اللعنة بعيدا حتى أرى النور"[٦٤].

وهناك طقس يظهر ان الطبيب الساحر نفذه من اجل تخليص المريض من عدة عفاريت: "في إطار الباب علقت (فأرة)،وفي مزلاجه باقة الكبر المنعزل.بسوط ضربت جسمك كما يعامل حمار هارب.اوتوككو الشرير انقلع،الو الشرير،اذهب.اذهب يا الو الشرير،من جسم هذا الإنسان،ابن إلهه،لا تصر على البقاء في مقدس أيا هذا،ولا تحاول العودة إليه.لا تصر البقاء في زوايا البيت،ولا تحاول العودة إليه.لا تقل أريد ان أبقى في هذا البيت!لا تقل إني أريد البقاء في الزوايا!لا تقل أريد البقاء في ضواحي هذا البيت!اوتوككو الشرير اخرج إلى بعيد،الو الشرير،اذهب إلى المواضع المقفرة: مسكنك هو الموضع البعيد،ومقامك البيت المتهدم المهجور،ابتعد من أمامي"[٦٥].وفي إحدى الأناشيد الطقسية الخاصة بتموز وعشتار يحمل عنوان: "عندما يكون الإنسان عرضة لهجوم عفريت اوتوككو أو عفريت سكول خازا أو كل شر أخر".ثم يصف الطقس اللازم لمثل هذه الحالة.يتألف القسم الأول من الطقس توسلات مرفوعة إلى عشتار وتموز،والى غيرهما من الوهيات أدنى،تصحبها قرابين ذات طابع رمزي.وتبدأ التعويذة بالقول: "في شهر تموز،تُبكي عشتار أهل البلاد على زوجها تموز،وعندما تجتمع اسر البشرية بعضها إلى بعض،تظهر عشتار وتنظر إلى حالة البشر،فتشفي من المرض وتسبب المرض".ويستمر الطقس بالقول: "في الثامن والعشرين من الشهر،في يوم حظائر الغنم،عليك ان تقدم إلى عشتار فرجا من لازورد ونجما ذهبيا،ثم تنطق باسم المريض وتقول: اشفِ المريض".وفي التاسع والعشرين،يعد لتموز فراش،وهو فراش جنائزي،وتقرب له مختلف قرابين الطعام والشراب،ثم ترفع إلى تموز وعشتار توسلات أخرى تناشدهما ان يطردا الأرواح الشريرة التي فتكت بالمريض،وان يذهب بها تموز إلى العالم الأسفل.ثم يلي ذلك وصف الأفعال الطقسية الضرورية.على المريض ان يقف عند أسفل فراش تموز الجنائزي متنقبا بنقاب يحجب وجهه،مما يعني انه قد مات،ثم يعمد الكاهن إلى قصبة في يده ويضربه سبع مرات.ثم تضيف التعليمات: "حالما مسسته يكون قد تغير".وتظهر طبيعة التغيير في الكلمات التي تليها مباشرة: "وعليك ان تقول له: لتكن حبيبتك عشتار في عونك"،أي يكون المريض قد استبدل شخصية

---

[٦٤])ساكز،عظمة بابل،ص٣٤٤–٣٤٥.

[٦٥]) لابات،المعتقدات الدينية،ص١٥٨.

الإله بشخصه.ثم يبتعد المريض عن الفراش،ويرتدي ثوبا من خيش ويجرح نفسه،ويجثو عند قدمي عشتار،ويناشدها قائلا: "أي عشتار أنقذي رعيتك(أو ربما رجلك أي زوجك)".ثم يعمد الكاهن إلى مقص يقص به غرة المريض ويفك حزامه ويلقي بهما إلى الشاطئ الذي يرمز للعالم الأسفل،مع اثني عشر رغيفا وقدرا من الطعام الفاخر.ان هذا يكمل فعل تبادل الأشخاص،ان صح التعبير.ثم يصوم المريض عن تناول بعض الأطعمة،ويرتدي ثياب الخيش ثلاثة أيام،وهي المدة التي يقضيها تموز في العالم الأسفل،بذلك يتم أداء الطقس الذي يحدث تأثيره بفعل تبادل الأشخاص،إذ ينتقل المرض إلى الإله،فيموت المريض موتا رمزيا مع الإله ثم ينبعث معه،ويتخلص بذلك من سيطرة الروح الشريرة(٦٦).

وهناك طقس يتناول علاج عين مصابة بالعمى ولكنه لا يتضمن ان محاربة لقوى الشر،أو إجراءات طقسية معقدة بل لا يتضمن حتى ذكر لوجود الطبيب الساحر،بل يكتف المريض بمخاطبة المرض مباشرة داعيا إياه بالمغادرة: "(إذا انبهرت عين الرجل من شدة الضياء)[أي أصيب بالعمى من شدة الضياء]،(فدعه) يذهب إلى بيت الظلام[أي مكان مظلم] ويسد عليه الباب ويقول اذهب أيها الانبهار"(٦٧).

في مصر القديمة كان السحر هو جزء من علاج أي مريض.ففي الوقت الذي يصف الطبيب فيه الدواء إلى المريض فان واجب الساحر ان يعجل باكتشاف السبب الحقيقي للعلة ويعمل على إيقافها(٦٨).ونعرف انه كان هناك طبقة من الأفراد تمارس العلاج من خلال التعاويذ والرقى والتمائم،وغيرها من أشكال السحر،وقد وصلتنا عنهم الكثير في البرديات الطبية.هذا وان كثير من الكهنة كانوا يشتغلون أيضا في الطب،وفي عهد الفرعون اخناتون(١٣٦٧–١٣٥٠ قبل الميلاد)،كان كبير الأطباء هو نفسه كبير الكهنة،وكان هؤلاء الكهنة–الأطباء ينتمون إلى الربة سخمت.ويعرف الطبيب الساحر في النصوص المصرية باسم ساو وهو اسم يميزهم في مصر القديمة عن الأطباء الباطنيين سنو،والجراحين،كهنة سخمت(٦٩).وقد اعتقد المصريون القدماء ان القوة التي يمتلكها الكاهن المتمرس

---

(٦٦) هوك،ديانة بابل وأشور،ص٢٥١–٢٥٢.

(67) ألبدري،الطب،ص٩٨.

(٦٨) سامي سعيد الأحمد،الأصول الأولى للشر والشيطان،(بغداد: مطبعة الجامعة، ١٩٧٠)،ص٢٨.

(٦٩) كمال،الطب المصري،ص٧٧ ،٤٤٢، ٣٧٨؛محمد أبو رحمة،السحر عند الفراعنة،(القاهرة: حابي للنشر والتوزيع،٢٠٠٥)،ص٦١.

بفنون السحر هي قوة غير محدودة.فعن طريق التفوه بأسماء القوة(أسماء القوى فوق الطبيعية) وبتعاويذ سحرية معينة يستطيع شفاء الأمراض وطرد الأرواح الشريرة[٧٠].

لقد زودتنا النصوص من مصر القديمة بتفاصيل جيدة عن الطقوس السحرية المنفذة في العلاج،فهناك أسطورة ثمينة تلفت الانتباه وتتصل بالقدرات السحرية لاسم الإله،ففي هذه الأسطورة،نقرأ كيف ان ثعبانا يلسع بتدبير من ايزيس الإله الأكبر رع،ولكي يتم شفائه كان عليه ان يبوح باسمه السري إليها،وهذا النص يعطينا دليل على أهمية اسم الإله في الطقوس السحرية: "قالت ايزيس: اكشف لي عن اسمك يا والدي المقدس لان الشخص يحيا بذلك الذي يتلو احد باسمه(سحرا).(قال رع): أنني أنا الذي صنعت السماء والأرض،وعقدت الجبال معا،وخلقت ما عليها.أنني أنا الذي صنعت المياه لتتمكن البقرة المقدسة من المجيء إلى الوجود،أنني أنا الذي صنعت الثور للبقرة حتى تتمكن الرغبات الجنسية ان تأتي إلى الوجود.أنني أنا الذي صنعت الأسرار الغامضة للأفقين،حتى تتمكن روح الآلهة من الاستقرار فيها.أنني أنا الذي فتحت عينيه حتى يتمكن النور من المجيء إلى الوجود،والذي أغلق عينيه حتى تتمكن الظلمة من المجيء إلى الوجود.طبقا لأمري يفيض النيل(لكن)لم تعلم الآلهة اسمه.أنني أنا الذي صنعت الساعات حتى تتمكن الأيام من المجيء إلى الوجود.أنني أنا الذي فتحت السنة وخلقت النهر.أنني أنا الذي صنعت النار المتأججة لأحضر إلى الوجود عمل القصر.أنني خبري في الصباح ورع في الظهر،واتوم في المساء.(لكن)لم يوقف (ذلك) السم سيره،ولم يشف الإله العظيم.عندئذ قالت ايزيس لرع: اسمك لم يكن حقا بين هؤلاء الذين ذكرتهم لي.إذا كشفت لي عنه سوف يخرج السم،لان الشخص الذي يذكر اسمه يحيا.احدث السم احتراقا،انه اشد قوة من اللهب والنار.عندئذ قال جلالة رع: لا بأس ان تنصتي إلي ابنتي ايزيس لكي يتمكن اسمي من المجيء من جسمي إلى جسمك".وهكذا لم يتمكن رع من إخفاء اسمه لان الشفاء السحري الذي تريد ايزيس تنفيذه،وهي هنا تستخدم الرقية،لن يتم إلا بذكر اسمه السري[٧١].ونقرأ في نص أسطوري تعارف عليها علماء المصريات باسم أسطورة الأميرة المسحورة،كيف ان استخدام تمثال الإله مهم للغاية في

---

[٧٠]) فراس السواح،الأسطورة والمعنى: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية،(دمشق: منشورات علاء الدين،٢٠٠١)،ص ١٣١.

[71]) **John A. Wilson, "The god and his Unknown Name of Power" ,In: ANET,(Princeton,1966),*P.13-14.***

فراس السواح،لغز عشتار: الالوهة المؤنثة واصل الدين والأسطورة،(دمشق: دار علاء الدين،٢٠٠٢)،ص٢٦١–٢٦٢؛ صموئيل هنري هوك،منعطف المخيلة البشرية،ترجمة: صبحي حديدي،(اللاذقية: دار الحوراء للنشر والتوزيع،٢٠٠٤)،ص٨٤–٨٥.

طقوس طرد الأرواح الشريرة المسببة للمرض.تتحدث هذه الأسطورة عن أميرة دعيت باسم بينت ريش،وهي أخت زوجة الفرعون رمسيس الثاني،وقد أصيبت هذه الأميرة بمرض بسبب روح شريرة فاستنجد أبوها بالفرعون المصري،الذي أرسل كاتبا يدعى تحوت-أم-حب لكي يطلع على حالتها:"وصل الحكيم إلى (مدينة) بختان(مدينة أسطورية لم يحدد موقعها بالضبط)،فوجد بينت ريش في حالة تملكها روح من الجن،حقا وجد عدوا تجب محاربته".وسرعان ما أرسل أمير بختان إلى رمسيس الثاني رسالة يطلب فيها بان يرسل إلها من اجل محاربة هذه الروح الشريرة.فاستجاب الفرعون المصري للطلب واتجه إلى الإله خونسو:"ثم كرر جلالته(الطلب) في حضرة خونسو في طيبة نفر حوتب[أي خونسو في طيبة تام السلام] قائلا:يا سيدي الطيب،إني أتكلم أمامك عن موضوع ابنة أمير بختان".لذا يأمر هذا الإله إلها خر يدعى:"خونسو منجز الأفكار الإله العظيم،الذي يخرج عفاريت المرض"وهذا الإله هو شكلا ثانويا للرب خونسو وهو الذي يباشر أعمال خونسو كما نقرأ في نص:"خونسو الذي عمل التخطيط"،لتنفيذ وظائف معينة،إحدى هذه الوظائف تعويذة المرض المسماة:"العامل على إقصاء التائهين أو المعتدون الأجانب أو شياطين المرض"،ثم يقوم الإله خونسو في طيبة نفر حوتب بصنع :"حماية سحرية من اجل خونسو منجز الأفكار أربع مرات"،وان هذا الرقم الأخير يعد تعبير تقليدي ومألوف يشير إلى عدد تلاوات الرقية الموصوفة لتنفيذ السحر،وان هذه الحماية السحرية كانت قوة روحية ممنوحة أكثر منها كعنصر مرئي مثل التميمة.وعندما وصل الإله إلى بختان ثم ذهب إلى حيث بينت ريش ثم:"قام برقية سحرية من اجل ابنة أمير بختان،لتصبح معافاة بسرعة".تشير الأسطورة إلى ان هذه الروح قد تحدثت إلى الإله خونسو منجز الأفكار معلنة خضوعها وتخبره بأنها ستغادر جسد المريضة بشرط واحد هو ان تقدم إليها تقدمة عظيمة أثناء احتفال ديني،بمعنى ان الروح الشريرة المسببة للمرض قد ساومت على الاعتراف الرسمي بها خلال احتفال ديني قبل ان تترك الأميرة:"ثم قالت هذه الروح(الشريرة) التي كانت معها،أمام خونسو منجز الأفكار:مرحبا أيها الإله العظيم الذي يطرد شياطين المرض،بختان هي بلدك،وشعبها هم عبيدك،وأنا عبدك! سأذهب إلى المكان الذي أتيت منه،لأضع قلبك في راحة حول ذلك الذي أتيت من اجله.لكن لعل جلالته يأمر بالاحتفال بعيد معي ومع أمير بختان،ثم أومأ هذا الإله إلى رسوله قائلا:دع أمير بختان يعمل تقدمة عظيمة في حضرة هذه الروح.وألان بينما هذه الأشياء التي قام بعملها خونسو منجز الأفكار مع الروح قد (حدثت)،كان أمير بختان في انتظاره مع جيشه،وكان في ذعر شديد،ثم قام بتقدمة كبيرة في حضرة خونسو منجز الأفكار،وهذه الروح يعلن أمير بختان الاحتفال بعيد ديني نيابة

عنهم،ثم ذهبت الروح في هدوء إلى المكان الذي تحب بأوامر من خونسو منجز الأفكار"[٧٢].بلا شك كانت التماثيل الإلهية تستخدم من اجل إخافة الروح الشريرة،ومن هذا المنطلق يمكن ان نفهم لماذا عندما أصيب الفرعون المصري أمنحوتب الثالث(١٤٠٥-١٣٦٧ قبل الميلاد) بتقيح مؤلم في أسنانه بعث إليه توشراتا ملك ميتاني تمثال الإلهة عشتار لتشفيه من مرضه[٧٣].

وتتحدث بردية عن طقوس نفذت من قبل طبيب ساحر من اجل طرد روح شريرة من جسد المريض.إذ نقرأ في النص كيف استدعت سيدة تدعى خاييت وهي إحدى الأميرات المصريات طبيبا ساحرا لعلاج زوجها،فلم تجد احذق وامهر من طبيب ساحر يدعى نبامون في علاج أمراض الرأس.فحضر نبامون قبيل المساء ومعه تابعان يحمل احدهما كتابا اسود،ويحمل الأخر سلة مليئة بالعقاقير اللازمة للرقى مع كمية من الطين لعمل التماثيل الصغيرة،وبعض النباتات الجافة والرطبة وبعض الأقمشة ومداد احمر،وأخر اسود.وما ان حضر الطبيب ونظر إلى المريض نظرة واحدة وتعرف على المرض،حتى قال ان روحا خبيثة تقمصت سارو زوج خاييت،وهذه الروح تزور المريض ليلا.ففكر قليلا وتناول بعض الطين ومزجه ببعض الحشائش،وصنع كرة وتلا عليها رقية من أقوى الرقى المدونة في كتابه.ولما كانت أنجع الطرق لطرد الأرواح الخبيثة هي وضع جسم المريض تحت حماية الآلهة،لذلك قال نبامون ان لعمله اثر كأثره في المعبودات،ثم زاد قوله تأكيدا بان وضع كل عضو من أعضاء سارو تحت حماية الآلهة قائلا ان اثر السحر في عين المريض اليمنى ناجح كأثر السحر في عين المعبود تمو اليمنى.تلك العين التي تخترق الظلام أشعتها.وان اثر السحر في عين المريض اليسرى هو الأثر نفسه في عين حورس اليسرى تلك العين التي تبيد كل شيء.فلما لم يحصل على الشفاء المطلوب قال نبامون للروح الخبيثة:ان كل عضو من أعضاء سارو اله بذاته،فذراعه هي ايزيس وان رجله هي نفتيس،ورقبته اله،وأسنانه سيف قاطع،ولحمه أوزوريس ويديه روحان من أرواح الآلهة،وأصابعه ثعابين زرقاء وثدييه ولدا المعبود سلك وفخذيه ريشتا المعبود أمون وظهره ظهر المعبود سيبو ومعدته معدة المعبود نو،وهكذا.وانتهى بان جعل كل عضو من أعضاء المريض إلها من أقوى الآلهة،وقال انه يعالج بكل العلوم المعروفة في مدينة عين شمس.ولما لم يفلح هذا قال ان سارو هو عين المعبود رع في جسم إنسان،كل ذلك قصد فيه إزعاج الروح الشريرة وطردها من جسد المريض.وقد تلا نبامون هذه الرقية أربع مرات،وفي كل مرة مرر كرة تحت رأس سارو وقال إذا ما اقبل الليل فسوف تعجز الأرواح الشريرة على إلحاق

***

[72]John A. Wilson, "The Legend Of The Possessed Princess", In: ANET,(Princeton,1966),PP29-30.**

[٧٣]) فاضل عبد الواحد علي،عشتار ومأساة تموز،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،ص٧٦؛فاضل عبد الواحد علي،من ألواح سومر إلى التوراة،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٩)،ص١٩٩.

الضرر بجسم المريض،لان الروح الشريرة ستفقد قوتها ما دامت الكرة باقية في محلها.وقد انصرف نبامون من بيت المريض،واقبل الصباح بعد ليلة قاسى فيها المريض أحلاما مزعجة انتهت برعاف(نزف انفي) غزير وإسهال.فلما علم الطبيب بذلك غضب،وقال: ان الروح الشريرة شديدة المقاومة للسحر.ومع ان هذه الروح تركت رأس المريض وتمسكت بأمعائه فلابد من تلاوة رقى أخرى،فاستخرج تمثالا صغيرا من سلته وتلا عليه رقية أخرى جاء فيها: "تعالوا حالا أيتها الآلهة،فان الإله رع متألم،وإذا أهملتموه مات لا محالة"،وهو يقصد بذلك بان يجعل الآلهة تعتقد بحقيقة قوله فتحضر الكتب السحرية لإنقاذ المريض ظنا منهم بأنه الإله رع،وبهذه الطريقة يتسرب المرض من المريض إلى التمثال الصغير.ولكن هذه المحاولة قد فشلت أيضا[٧٤].وتتحدث نصوص أخرى عن طرق علاج سحرية تنفذ من اجل العلاج،ففي بردية برلين نقرأ عن علاج سحري من اجل امرأة عاقر: "إنها خاصة بالمرأة العاقر،ويكون علاجها على النحو التالي: بخر فرجها بالدوم،ولا تجعلها تأخذ احليلها(احليل زوجها)،ثم أعطها علاجا ليفكه(أي العقم)".أما مكونات العلاج فكانت: "مروخ–كركم–جعة عذبة...يطبخ ويؤكل في أربعة أيام"[٧٥].ومن الطرق السحرية في العلاج نقرأ عن نقل المرض أو الصحة من عضو المريض إلى عضو حيوان وبالعكس.وهو أمر شاهدناه وان كانت هناك فروق بسيطة في وادي الرافدين واسيا الصغرى،وسنقرأ عنه لاحقا عند القبائل البدائية.ومن أمثلة نقل المرض،ان توضع عين خنزير في أذن المكفوف لإعادة البصر إليه مع تلاوة هذه التعويذة: "هبت للبحث عن(هذا) الذي ينبغي وضعه محل(ذاك) لاستبدال الم فادح"،ومن المفترض ان هذا الأجراء يستبدل عين الخنزير وهي سليمة،بعين الكفيف.ومن الأمثلة الأخرى: "دلك نصف الرأس المتألم برأس سمك مقلي في الزيت.لنقل الألم من رأس المريض إلى رأس السمك"[٧٦].

في أسيا الصغرى نقرأ عن الطب السحري،وعن كونه شائعا إلى جانب الطب العلمي،وتشير رسالة إلى هذه الحقيقة،وهي مرسلة من الملك الحيثي حاتوسيلي الثالث(١٢٦٧–١٢٣٧ قبل الميلاد) إلى الفرعون المصري رعمسيس الثاني يطلب فيها طبيب مصري يساعد أخته ماشانوززي(*Maššananuzzi*)[تلفظ في المصري(*Matanazi*) زوجة ملك منطقة نهر شيخا] في إنجاب أطفال علما ان عمرها قد تجاوز الخمسين،وكان جواب رعمسيس هو: "هكذا إلى أخي(بخصوص) ما كتبه أخي لي حول أخته ماتانازي: بإمكان أخي ان يرسل لي رجلا يعرف تحضير

---

[٧٤]) كمال،الطب المصري،ص٤٧–٤٨؛أبو رحمة،السحر عند الفراعنة،ص٦٣–٦٤.

[٧٥]) أبو رحمة،السحر عند الفراعنة،ص٦٧.

بول غليونجي،الطب عند قدماء المصريين،(الإسكندرية: دار مطابع المستقبل،بلا.ت)،ص٤٩.

الأدوية لها لكي تنجب الأطفال،هذا ما كتبه أخي.لذا (أقول) إلى أخي انظر:ماتانازي أخت أخي والتي الملك يعرف عمرها (٥٠) عاما،أو إنها بعمر(٦٠) عاما...ولا احد يستطيع عمل الأدوية لتمكنها من الإنجاب،حسنا اله الشمس واله العاصفة قد يعطون أمرهم،وهي أوامر منفذة وتجب...وأنا الملك أخوك سأرسل كاهن خبير في التعزيم وطبيب خبير لمساعدتها لإنجاب الأطفال..."[٧٧].وتشير الأدلة عن وجود طقوس متنوعة مورست من قبل الحيثيين في الشفاء،ففي طقس سحري يمارس من اجل محاربة العجز الجنسي والجبن في ان واحد،وهذا ما يجب ان نفهمه من طقس يرمي إلى طرد الإله اينناراس في شكله المخنث،لكي يحل محله اينناراس في شكل اله الرجولة.ويجري في الطقس تقديم الأضاحي وممارسة الطقوس طيلة أربعة أيام متوالية.ويجب ان يكون هناك قماش من الصوف المتنوع الألوان وخيوط من المادة نفسها وشعير واوانٍ صغيرة وكبيرة وخبز وماعز وكلب ودودة وعصافير مطبوخة.وتربط أيدي المريض ورجلاه وعنقه،ويوضع رباط على فراشه،ويثبت قوسا على الطاولة،ويثبت أخر على ضفيرة طيلة الليل.وفي النهار يفك الرباط ويتوسل المريض إلى الآلهة ويخرج من المدينة ثم يعود إليها،وخلال خروجه ودخوله يقدم الأضاحي،ويستغرق ذلك أربعة أيام[٧٨].في نص أخر يتحدث عن ممارسة طقس سحري من اجل إعادة الوظائف الجنسية لرجل أو امرأة بعد ان تكون قد تعطلت:"يسد المريض أو المريضة أذنيه(أو أذنيها) بالصوف الأسود.ويرتدي ملابس سوداء...(ثم بعد تأدية طقوس مختلفة)،تمزق المرأة العجوز(التي تنفذ الطقس) من أعلى إلى أسفل القميص الأسود الذي قد ارتداه أو ارتدته،وتخلع من ساقيه أو ساقيها الطماق(؟) الأسود وتخرج من أذنيه (أو أذنيها) حشو الصوف،وتقول:أنا ألان اخرج منه(أو منها) الظلام،والجمود التي سببها الرجس،والذي بسبب الرجس أضحى مظلم جامد.إنني اخرج الإثم،ثم ترفع الملابس السوداء التي يرتديها أو ترتديها وتضعها في مكان واحد".وبعد ذلك تلقي القميص الأسود والطماق أو أي شيء أخر لامس المريض في النهر.وفي نصوص أخرى تدفن الأمتعة تحت حجر،ثم بعد ذلك:"أضع مرآة ومغزلا في يد المريض ثم يمر تحت بوابة،وعندما يخرج من تحت البوابة،اخذ منه المرآة والمغزل وأعطيه قوسا،وأقول له:لقد أخذت منك الأنوثة،وأعطيك الرجولة،ولقد طرحت عن نفسك طبيعة المرأة،وتجليت بطبيعة الرجل".وفي حالة المرأة مريضة فان المرأة العجوز تقبض بقرني بقرة مخصبة وتقول:"يا اله الشمس،سيدي،كما ان هذه البقرة مخصبة،اجعل هذه المريضة مخصبة وهي في حظيرة خصيبة وتملأ الحظيرة بالعجول والبقر،اجعل هذه

---

[٧٧]) صلاح رشيد ألصالحي،المملكة الحيثية:دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول،(بغداد:بلا.مط،٢٠٠٧)،ص٤٠٣.

[٧٨]) بوييه،المسؤولية الجزائية،ص٦٠-٦١.

المريضة مخصبة،اجعلها تملا بيتها بالبنين والبنات،والأحفاد وأحفاد الأحفاد يتناسلون في أجيال متعاقبة".ثم ترفع تماثيل من الشمع وشحم الشاة فوقه أو فوقها وتقول: "أيما أشخاص قد جعلوا هذا الشخص نجسا فانا احمل ألان هيكلين سحريين"،ثم تحطمهما وتقول: "أيما أشخاص أشرار جعلوه(أو جعلوها) نجسا فليتحطموا بنفس الطريقة".وهناك مثل أخر من طقس الضحية الفادية مأخوذ من طقس ضد الطاعون في المعسكر: "يحضرون حمارا يسوقونه باتجاه بلد العدو ويتكلمون بالاتي: أنت يا ربي قد أوقعت بهذا البلد العدو ومعسكره شرا،ولكن اجعل هذا الحمار يرفعه وينقله إلى بلد العدو"[٧٩].ويتحدث نص طويل ومسهب إلى طقس نفذ من اجل ان يتم شفاء الملك مورسيلس الثاني،ويبدأ الطقس بمحاولة معرفة الإله المسئول عن مرض الملك: "أنا استفسرت بواسطة الوحي،اله العاصفة لمدينة مانوززيا(*Manuzziya*) فقد كان يعرف الإله المسئول"،ويبد وان الطقس يرتكز على فكرة البديل الحيواني،إذ كان على الملك ان يرسل إلى الإله الغاضب ثور بديل يتم إحراقه في النار،مع طيور وحملان،ويجب إرسال الثور إلى معبد في ارض كوممانني(*Kummanni*)،وقد تم تزيين الثور البديل، : "وشمسي وضع يده عليه"،وقد استغرق الطقس عدة أيام،ففي اليوم الأول الذي يتم فيه تزيين الثور البديل على الملك ان يستحم،بعد ان قضى ليلته السابقة وحده: "ولم ير (أي) امرأة"،وفي الصباح يستحم الملك ويضع يده على الثور البديل،ولمدة سبعة أيام يستمر الملك بالاغتسال ألطقوسي في وقت كان أتباعه يأخذون الثور البديل إلى مدينة كوممانني،وبعد سبعة أيام وفي اليوم الثامن يقوم بإحراق أنواع مختلفة من الطيور،الحملان،مع الثور البديل،يعقب ذلك تقديم القرابين للآلهة،ومن ثم اخذ كافة الملابس التي كان يرتديها الملك أثناء الطقس،كذلك كافة الأشياء التي استعملها،والملابس والأدوات التي استخدمها الملك في اليوم الذي أصيب به بالمرض،وبلا شك يتم التخلص منها: "[اليوم الذي] وضعت فيه[يدي] على الثور البديل،في ذلك [اليوم هم أرسلوه]،وهكذا ملابس المراسيم[التي أنا لبستها] في ذلك اليوم،هم فيما بعد جمعوها معا مع الأثواب الرسمية،والحزام،والخنجر،والأحذية مع[...]وجمعوها وحملوها مع عدة الفرس،والقوس،وجعبة السهام،والخيول،أخذوها بعيدا،والمنضدة التي أنا كنت استعملها للأكل،والكوب الذي كنت استعمله للشرب،والفراش الذي كنت استخدمه للنوم،والطشت الذي كنت استخدمه للغسل،كل أداة كانت تجمع،كل ما استخدمته شخصيا كما قرر من قبل الإله في هذه القضية،وهو اخذ العباءات الرسمية،والعربة،والخيول،في ذلك اليوم الذي جلب اله العاصفة الرعد الرهيب والعاصفة الشديدة،فالعباءات الرسمية التي لبستها في ذلك اليوم الرهيب والعربة التي وقفت

---

[٧٩]) اوليفر أ.كرني،الحيثيون،ترجمة: محمد عبد القادر محمد،مراجعة: فيصل الوائلي،(بغداد: مطبوعات البلاغ،١٩٦٣)،ص٢٢٠-٢٢١.

فيها في ذلك اليوم،وهم اخذوا هذه الملابس الرسمية وتلك العربة أيضا".ويبدو ان الطقس ينتهي بتجهيز ثور بديل ثان ويتم إحراقه أيضا[٨٠].يشير الطقس الموصوف أنفا إلى جملة من الحقائق لابد من توضيحها،ولعل من ابرز ما يمكن ان يقال ان الطقس يرتكز على مبدأ البديل الحيواني هو أمر يشابه لما وجدناه في وادي الرافدين مع فارق مهم فالبديل الحيواني في وادي الرافدين،يهدف في الدرجة الأساس إلى خداع الشيطان الذي تلبس بجسد المريض،وان ذبحه يرمز إلى إقناع الأخير ان الضحية وهو الشخص المصاب قد مات،كذلك لكي يتم توفير بديل يمكن للروح الشريرة ان تنتقل للعيش فيه،في نفس الوقت يمثل البديل الحيواني قربانا يقدم إلى الآلهة لكي تغفر ذنوب الشخص المريض.أما في أسيا الصغرى فيبدو ان الهدف من الحيوان البديل وهو هنا ثور وليس جدي،هو نقل المرض إليه مباشرة،وتكشف عبارة،ان الملك الحيثي وضع يده على الثور الأمر،فهي توضح ان الهدف من العملية نقل المرض عن طريق يد الملك إلى الثور،وبلا شك ان وجود الثور مع الطيور والحملان في الطقس يعني ان هناك هدف آخر من وراءها ليس فقط نقل المرض إلى الثور وإنما تمثل الأضحية المناسبة التي ستقدم إلى الآلهة.هذا وان استكمال فهم الطقس يكشف ان عملية اخذ ملابس وأدوات الملك التي استعملها سواء تلك التي كان يستخدمها في أثناء إصابته بالمرض،أو تلك التي استخدمها أثناء تأدية الطقس،ونقلها إلى مكان بعيد دلالة على فكرة نقل المرض معها بعيدا عن الشخص المريض.

تشير الأدلة إلى وجود طقوس أخرى تنفذ من اجل شفاء المريض وتهدف إلى طرد الروح الشريرة،فهناك طقوس كانت تهدف بالدرجة الأساس إلى استرضاء الروح الشريرة بالقرابين،وهو أمر لمسناه في وادي الرافدين،ويمكن ان نجد له مثيل في الطقوس المصرية القديمة كما سنرى.فهناك روح شريرة تدعى الواميس يتم استرضائها بطقس خاص وذلك بسكب سائل والتضحية لها بماعز،وهذه الروح الشريرة تبعد الأمراض الخبيثة.وهناك الروح الشريرة التي تدعى تارباتسسيس،وهي من المناسب استرضائها بطقس والتضحية لها بظبي،أو ذكر الأرنب.وهذه الروح الشريرة يجب تجنبها فهي تسبب الأمراض وإذا كانت التضحية والطقس مناسبين فهي تمنح حياة صحية ولمدة طويلة[٨١].

لقد كان للسحر لدى الكنعانيين دوره في الشفاء،إذ نقرأ في أسطورة كريت يصاب هذا الملك بمرض،لذا يقوم الرب إيل باستدعاء مجلس الآلهة ويسأل الآلهة سبع مرات عمن يستطيع إيجاد علاج لمرض كريت:

"يسأل أي من الإله سيقدم على شفائه:

---

[٨٠]) ألصالحي،المملكة الحيثية،ص٦٤٥-٦٤٧.

[٨١]) المصدر نفسه،ص٦٧٠.

لطفان(إيل) اله الرحمة: من

من بين الآلهة[يستطيع] ان يداوي المرض(أو المريض)

أليس من بين الآلهة من يطرد المرض

لم يجبه احد.فثنى وثلث".

وهنا يعيد الإله إيل السؤال سبع مرات،من غير ان يجيبه احد من الآلهة،وحين يعجز الجميع يعلن إيل انه بنفسه سيلقي رقية تكفل زوال المرض،ويقتطع لهذه الغاية قطعة روث:

"فقال لطفان اله الرحمة

عودوا بني،إلى مساكنكم

إلى كراسي سلطانكم

فاني سألجأ إلى السحر(أو الرقى)...وسأثبت

سأؤكد مداواة(شفاء) المرض وسأطرد

المرض.فملأ يده روثا

روثا ناعما(حسنا)...وقرصه".

ان كسرا في النص لا يجعلنا نفهم بشكل جيد ما قام به إيل،من علاج سحري،وبعد انكسار في اللوح،يظهر إيل وقد أرسل إلهة الشفاء شعتقة لتحلق فوق مئة مدينة وبلدة لإيجاد مخرج يشفي كريت من مرضه ولكن النص مشوه بشكل كبير مما يتعذر فهمه كله:

"وأنت يا شعتقة

روث...

عطر...

بفم شعتقة...

اله الرحمة...

[فوق] المدن طيري،[فوق] مئات الدساكر

طيري حقا...

المرض...".

ولكن شعتقة يحالفها الحظ ويصل النبأ بأنها انتصرت على الموت،وهي هنا لا تقوم باستخدام الرقى أو التعاويذ بالعلاج وإنما باستخدام الأعشاب والكمادات وتعمل بنفسها من اجل شفاء الملك:

"وألان أيها الموت،زل،وأنت يا شعتقة ألان

ليكن النصر حليفك.وغادرت شعتقة

وعلى قصر كريت جاءت،
باكية،وصلت ودخلت
صارخة جاءت مشيا
فوق المدن طارت
فوق القرى طارت،تنشد
الختمية(نوع من الزهور)،والتعمة(؟)،والفطر داوت بها(؟)
المريض في رأسه
ثم عادت(أو جلست) تغسله بعرقه(أي تجعله ينضح عرقا)
وفتحت شهيته للأكل
وبلعومه للطعام
وألان الموت زال وشعتقة ألان
انتصرت"[٨٢].

بلا شك لهذا النص قيمة كبيرة في دراسة قضية الطب السحري لدى الكنعانيين،فأولا هناك إشارة إلى استخدام التعاويذ في العلاج،ومن ثم استخدام الأعشاب والكمادات،الأمر الذي يسمح لنا بالاستنتاج ان الكنعانيين على غرار العراقيين والمصريين القدماء رأوا ان وجود التعويذة إلى جانب العلاج كفيل بزيادة فاعليته العلاجية.ولدينا بعض الشواهد الطقسية بخصوص السحر في اوغاريت،منها نسختان لتعويذة ضد عضة الأفعى السامة،وهي تستنهض عدة آلهة مهمة وتستدعيها من مساكنها الأسطورية لتقديم المساعدة خلال تلاوة التعويذة[٨٣].

ان المعلومات المتوفرة في العهد القديم حول الطقوس السحرية قليلة،وهناك إشارة إلى طقس ربما كان يزاول في فلسطين القديمة،وهو الذي يرد على لسان القائد الآرامي نعمان،وهو ان يقوم كاهن أو ساحر بالدعاء باسم الإله ويمرر يده فوق موضع المرض،فيتم الشفاء[٨٤].وهناك رواية ترد في سفر التكوين الخاص بجماعة البحر الميت نقرأ فيها كيف يأخذ فرعون مصر سارة زوجة إبراهيم بالقوة ويضمها إلى

---

[٨٢]) أنيس فريحة،ملاحم وأساطير من الأدب السامي،(بيروت: دار النهار للنشر،١٩٧٩)،ص٢٠١-٢٠٢؛أنيس فريحة،ملاحم وأساطير من اوغاريت،ص٢٨٧-٢٩١؛هوك،منعطف المخيلة البشرية،ص١٠٢؛ الان م.كوبر ومايكل كوكان،"الديانة الكنعانية"،بحث ضمن موسوعة: تاريخ الأديان،تحرير: فراس السواح،(دمشق: دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر،٢٠٠٧)،ج٢،ص١٠١-١٠٢.

[٨٣]) كوبر وكوكان،الديانة الكنعانية،ص٧٣.

[٨٤]) الملوك الثاني،٥: ١١.

حريمه وهنا يطلب إبراهيم من الله المساعدة لذا في تلك الليلة أرسل الرب الأعلى روحا أصابت الفرعون المصري بالبلاء، وروحا شريرة لجميع أهل بيته، فلم يستطع ان يقترب من سارة رغم انه بقي معها مدة سنتين إلا انه لم يتصل بها، عندها طلب من إبراهيم ان يصلي لأجله وان يضع يديه على جسمه، ولكن قبل كل شيء على الفرعون ان يكفر عن ذنبه الذي ارتكبه وهو اخذ سارة زوجة إبراهيم وضمها إلى حريمه، لذ قبل ان يقوم إبراهيم بأي إجراء أعاد الفرعون زوجة إبراهيم إلى زوجها وهنا يقوم إبراهيم كما يقول هو: "صليت [من اجله]...ووضعت يدي على[رأسه]، فرحلت البلوى منه وطرد[الروح] الشريرة [منه] وعادت صحته"[٨٥].

ان أفضل الأدلة حول ممارسة الطب السحري في فلسطين من العهد الجديد، وأناجيل الابوكريفا، وإذا ما أخذنا برواياته على إنها تمثل فكرة الطب الشعبي الذي كان سائدا في فلسطين في العصر الروماني، فإننا أمام سيل من الروايات التي تبرهن عن جدارة عن تغلغل المعتقدات الشعبية في الكتاب المقدس للديانة المسيحية، فبلا شك كان الطبيب الساحر ذا تأثير كبير في المجتمع الفلسطيني القديم، وهناك إشارة ذات بعد خاص تقول ان يسوع كان يشفي الأمراض كافة دلالة على ازدهار هذا النوع من الطب: "كان يسوع ينتقل في منطقة الجليل كلها، يعلم في مجامع اليهود، وينادي ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وعلة في الشعب.فذاع صيته في سوريا كلها، فحمل إليه الناس مرضاهم المعانين من الأمراض، والأوجاع على اختلافها والمسكونين بالشياطين والمصروعين والمشلولين فشفاهم جميعا"[٨٦].ويبدو ان الطبيب الساحر كان يتميز بقوة خاص تتسرب من جسده إلى جسد المريض تعمل على شفائه، ففي نص نقرأ ان امرأة مصابة بنزيف دموي تدعى بيرنايس(في اللاتينية ورد اسمها بصيغة فيرونيكا) لمست ثياب يسوع فشفيت، وكان يسوع قد شعر في بقوة التي خرجت منه أثناء شفاء المرأة[٨٧].بل في حالات ان وجوده كفيل بطرد الشيطان من جسد الضحية حتى وان لم يقم بأي طقس سحري، ففي رواية تقول ان: "هناك امرأة قد هاجمها عندما خرجت أثناء الليل، من اجل الماء، ولم يكن بإمكانها لا ان تحمل الثياب، ولا ان تعيش في بيت، وغالبا عندما ربطت بسلاسل وسيور من الجلد، حيث تقف على مفترق الطرق وفي المقابر، وكانت ترمي الحجارة على الناس، وأنزلت كثيرا من المصائب على رفاقها، وعندما رأتها السيدة مريم، أشفقت عليها، وعلى الفور غادرها الشيطان، وهرب

---

[٨٥]) غيزا فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمة: سهيل زكار، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص٥٠٣-٥٠٤؛ انظر أيضا: علي الشوك، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، (لندن: دار اللام، ١٩٨٧)، ص١٣٣-١٣٤.

[٨٦]) متى، ٤: ٢٣-٢٤.

[٨٧]) مرقس، ٥: ٢٥-٣٠؛ لوقا، ٨: ٤٣-٤٦؛ إنجيل نيقاديموس، ٧: ١.

بعيدا على شكل رجل شاب قائلا: ويل لي يا مريم ومن ابنك وهكذا شفيت من شقائها"[88]. وربما تشير الرواية في اقل تقدير عن وجود نساء مارسن الطب السحري أيضا.

ومن خلال دراسة نصوص العهد الجديد يتضح ان طرق العلاج السحري التي مورست كانت محدودة، ربما كانت هناك طرق أكثر غير ان كتبة العهد الجديد اقتصروا على بعضها لاسيما طرق العلاج بسحر الكلمة للبرهنة على معجزات السيد المسيح، ولكن من غير شك كانت هناك ممارسات سحرية مختلفة لم تصلنا. رغم ان اللاهوتيين يؤكدون ان يسوع لم يكن في حاجة إلى إجراء طقوس معينة لطرد الشياطين، بل كانت كلمة منه كافية لطرد الشياطين[89]، لكن الدراسة الفاحصة لنصوص الأناجيل سواء القانونية وغير القانونية(ابوكريفا)، تكشف ان طقوسا عديدة قد مارسها السيد المسيح من اجل الشفاء، تم تحويرها من اجل ان تلاءم التوجهات الجديدة للديانة المسيحية الناشئة، منها البرهنة على معجزات السيد المسيح، لكنها بلا شك رغم التحوير نستطيع ان نلمس من وراءها طقوسا عديدة مورست في كل أنحاء الشرق القديم، ولعل أبرزها مبدأ البديل الحيواني، الذي تم حذف الطقوس المعقدة التي نقرأ عنها في ممارسات الشرق الأدنى ليتحول العلاج بهذه الطريقة إلى مجرد قوة الكلمة الملقاة على الشياطين لترغمهم على مغادرة جسد الضحية إلى البديل الحيواني. أو عندما يعمد السيد المسيح كما سنرى إلى لمس الجزء المصاب فانه يكشف عن طقس قديم مورس ربما في فلسطين القديمة تم إعادة صياغته ليتلاءم مع الفكر المسيحي، ويمكن ان نلخص الطرق المتبعة بالعلاج السحري في النقاط التالية:

١. طريقة اللمس:

فيها يعمد الطبيب الساحر إلى لمس المنطقة المصابة، أو لمس المريض بشكل عام ليتمكن من طرد المرض وقد أشار مرقس إلى هذه الصورة عن يسوع عندما قال: "فصار كل من به مرض يسارع إليه ليلمسه"[90]. من الأمثلة عن هذا النوع من العلاج نقرأ رواية الأبرص من كفر ناحوم الذي نادي السيد المسيح طالبا منه ان يشفيه، الذي بادر إلى لمسه فشفي الرجل[91]. وكذلك عندما دخل السيد المسيح إلى بيت بطرس احد تلاميذه فوجد بحماته طريحة الفراش تعاني من الحمى، فلمس يدها، فذهبت عنها الحمى[92]. ونقرأ في رواية ثالثة كيف يتجه أعميان إلى يسوع من اجل ان يشفيهما، فلمس الأخير

---

[88]) إنجيل الطفولة العربي: ١٤.

[89]) بروس بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ترجمة: شركة ماستر ميديا، (القاهرة: مطبعة شركة ماستر ميديا، ١٩٩٨)، ص١٩٨١.

[90]) مرقس، ٣: ١٠.

[91]) متى، ٨: ١-٣؛ مرقس، ١: ٤٠؛ لوقا، ٥: ١٢-١٣.

[92]) متى، ٨: ١٤-١٥؛ مرقس، ١: ٢٩-٣١.

أعينهما،فأبصرا[٩٣].وعندما غادر يسوع نواحي صور،وعاد إلى بحيرة الجليل،احضروا إليه أصم معقود اللسان(اخرس)،وتوسلوا إليه ان يضع يده عليه.فانفرد به بعيدا عن الجمع،ووضع إصبعيه في أذني الرجل،ثم تفل ولمس لسانه،ورفع نظره إلى السماء،وقال له: افتح،أي انفتح وفي الحال انفتحت أذناه وانحلت عقدة لسانه،وتكلم بطلاقة[٩٤].وعندما كان في قرية بيت صيدا،احضر إليه أعمى وتوسلوا إليه ان يضع يده عليه.فامسك يسوع بيد الأعمى واقتاده إلى خارج القرية،وبعد ان تفل في عينيه،وضع يده عليه وسأله: هل ترى شيئا فتطلع،وقال: أرى أناسا كأنهم أشجار يمشون فوضع يده ثانية على عينيه فعاد صحيحا وشفي من مرضه[٩٥].ونقرأ في رواية ان امرأة كانت قد سكنتها روح شريرة وأمرضتها طيلة ثماني عشر سنة،وكانت حدباء لا تقدر ان تنتصب.فلما رآها يسوع،دعاها وقال لها: يا امرأة أنت في حل من دائك! ووضع يده عليها فعادت مستقيمة في الحال[٩٦].وفي قصة أخرى تنسب إلى السيد المسيح عندما كان طفلا تعكس بشكل مؤكد طريقة العمل السحري بوساطة اللمس فقد كان هناك رجلا ينجر خشبا،فوقع الفأس وشق قدمه،وقد اخذ الر جل يفقد الكثير من الدم حتى كاد يموت.وسرعان ما ركض إليه الطفل يسوع،وشق طريقه بين الحشد المتجمع حول الرجل،وما ان لمس الرجل المجروحة،حتى شفيت على الفور[٩٧].وفي رواية انه ذات يوم ذهب الرسولين بطرس ويوحنا إلى الهيكل لصلاة الساعة الثالثة بعد الظهر.وعند باب الهيكل الذي يدعى الباب الجميل،كان يجلس رجل كسيح منذ ولادته،لذا يقوم بطرس بمعالجته،فهو ينطق ويأمره بالمشي قائلا: باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ! ثم امسكه بيده اليمنى وأقامه،فدبت القوة حالا في رجليه وكعبيه،وبدأ يمشي[٩٨].وفي حالات أخرى لا يقوم الطبيب الساحر بلمس المريض بل يكتفي الأخير بان يقوم بلمس ثياب ذلك الطبيب ليشفى كما يتضح من رواية المرأة المصابة بنزف دموي لأكثر من اثنتي عشر سنة،وقد تقدمت إلى يسوع من الخلف ولمست طرف ردائه،لأنها كما تقول الرواية على لسانها: "يكفي ان المس ولو ثيابه لأشفى".وبالفعل ما ان لمست ثيابه حتى شفيت من مرضها[٩٩].

---

[٩٣]) متى،٩: ٢٧-٣٠؛انظر رواية مشابهة في: متى،٢٠: ٢٩-٣٤؛انظر كذلك رواية مشابهة في: إنجيل نيقاديموس،٦: ٢.

[٩٤]) مرقس،٧: ٣١-٣٥.

[٩٥]) مرقس،٨: ٢٢-٢٥.

[٩٦]) لوقا،١٣: ١٠-١٣.

[٩٧]) إنجيل الطفولة لتوما،١٠: ١-٢.

[٩٨]) أعمال الرسل،٣: ١-٨.

[٩٩]) متى،٩: ٢٠-٢٢.

٢.سحر الكلمة:

في هذا النوع من العلاج يكتفي الطبيب الساحر بتوجيه أمر بطرد المرض فيُنفذ الأمر حتى وان كانت هناك مسافة بعيدة بين المريض وطبيبه الساحر،ويقول نص مسيحي ورد على لسان الشيطان المسبب للمرض ان كل ما قام به من عمل موجه ضد البشر قضى عليه السيد المسيح بكلمة منه:"كل الذين أنا جعلتهم عاجزين أو عميان أو عرجان أو مجذومين،أو مثل ذلك شفاهم بكلمة واحدة فقط"(١٠٠).ويمكن ان نعطي عدد من الأمثلة التي وردت في المصادر المسيحية عن هذه الطريقة في العلاج،فعندما دخل السيد المسيح مدينة كفر ناحوم جاءه قائد مئة يتوسل إليه قائلا:يا سيد ان خادمي مشلول طريح الفراش في البيت يعاني اشد الآلام.فقال له يسوع:سأذهب واشفيه! ولكن قائد المائة أجابه:يا سيد أنا لا استحق ان تدخل تحت سقف بيتي.إنما قل كلمة،فيشفى خادمي،فلم يكن من يسوع إلا ان قال:اذهب،وليكن ما لك ما أمنت بان يكون! وفي تلك الساعة شفي خادمه (١٠١).وعندما وصل يسوع إلى قانا في الجليل،جاءه رجل وطاب منه ان يشفي ابنه وكان يسكن في كفر ناحوم،فما من يسوع إلا ان نطق وقال للرجل:ابنك حي،فشفي ابنه فورا(١٠٢).وأحيانا ينطق الطبيب الساحر بأمر الشفاء مباشرة أمام المريض مما يؤدي إلى الشفاء الفوري كما نقرأ في رواية ان مشلول أتى إلى يسوع طالبا الشفاء،فلم يكن من الأخير إلا ان نطق قائلا:قم احمل فراشك،واذهب إلى بيتك! فقام الرجل فورا وذهب إلى بيته(١٠٣).ونقرأ عن حالة مشابهة فقد جاء رجل يده يابسة(ربما مشلولة) فقال يسوع للرجل:مد يدك! فمدها فإذا هي صحيحة(١٠٤).وفي أريحا كان يسوع مع تلاميذه يمشي،فطلب منه رجلا يدعى بارتيماوس ابن تيماوس وكان أعمى ان يشفيه،وبكلمة منه أبصر الرجل(١٠٥).وعندما جاء إلى يسوع المسيح رجل مجذوم طلب منه ان يشفيه وبكلمة من المسيح زال الجذام منه(١٠٦).وهناك مخطوط مسيحي يشير إلى مرض ابنة الرسول شمعون الصفا(بطرس)،التي كانت مشلولة،وبكلمة منه قام بشفائها:"نظر(بطرس) إلى ابنته وقال لها:انهضي من مكانك من دون مساعدة احد باستثناء

(١٠٠) إنجيل نيقاديموس،٢٠: ١.

(١٠١) متى،٨: ٥-١٣.

(١٠٢) يوحنا،٤: ٤٦-٥٣.

(١٠٣) متى،٩: ١-٧.؛مرقس،٢: ٣-١٢؛لوقا،٦: ٦-١٠؛انظر رواية مشابهة في:يوحنا،٥: ٥-٩؛وكذلك انظر رواية أخرى في:إنجيل نيقاديموس،٦: ١.

(١٠٤) مرقس،٣: ١-٥.

(١٠٥) مرقس،١٠: ٤٦-٥٢؛لوقا،١٨: ٣٥-٤٣.

(١٠٦) بردية ايغرتون،رقم:٢.

يسوع،وسيري بشكل طبيعي أمام هؤلاء الحضور وتعالي إلي،فنهضت وجاءت إليه"[107].وهناك رواية أخرى لهذه الحادثة تقول ان بترونيلا ابنة القديس بطرس،كانت فتاة جميلة المظهر لذلك دعا والدها ان تنزل بها الحمى،التي كانت شديدة الوقع عليها.ولما جلس بطرس ذات يوم إلى الطعام مع تلاميذه تحدث معه تيتوس:"يا معلم،لماذا تشفي المرضى جميعا وتترك بترونيلا فريسة المرض؟ أجاب بطرس:لان ذلك سيكون ذا نفع لها.ولكي لا تتوهم بان شفاءها غير ممكن سأقول لكم بان بترونيلا ستتعافى قريبا لتخدمنا على الطاولة".وفي الحال نهضت بترونيلا بكامل صحتها،وراحت تعمل على خدمتهم على الطاولة.ولأنها أنجزت كل ما عليها من مهمات تحدث معها القديس بطرس:بترونيلا اذهبي ألان إلى سريرك.وهكذا استلقت في فراشها وراحت تعاني من الحمى[108].وقد يعمد الطبيب الساحر في بعض الحالات على زجر الشيطان بقوة لإخافته وإرغامه على ترك جسد المريض ففي حالة نقرأ عن رجل تقدم من السيد المسيح طالبا منه شفاء ابنه لأنه مصاب بالصرع وهو يتعذب عذابا شديدا،وكثيرا ما يسقط في النار أو في الماء.فأجابه يسوع بان يحضره إليه.فلما جلبوه إليه زجر الشيطان وقال له:أيها الروح الأخرس الأصم،إني أمرك،فاخرج منه ولا تعد تدخل بعد،فخرج فورا من الصبي وشفي تماما[109].وعندما كان يسوع في كفر ناحوم يدرس في المجمع اليهودي فصرخ إليه رجل يسكنه روح شريرة يبدو انه قد سبب له اضطرابات عقلية فصرخ قائلا:ما شأنك بنا يا يسوع الناصري؟ أجئت لتهلكنا.فقام يسوع بزجر الروح الشريرة،التي ارتعبت وخرجت من جسد المريض[110].وتشير رواية أخرى إلى ان حماة سمعان(بطرس) كانت مريضة فدخل يسوع إليها ووقف بجانب السرير وزجر الحمى فذهبت عنها[111].

٣.طريقة البديل الحيواني:

وهي طريقة شائعة في الطب السحري،شاهدناه في وادي الرافدين واسيا الصغرى ومصر،وتقدم الأناجيل أدلة على مارستها في فلسطين،وتظهر الأدلة إنها مورست عن طريق نقل الشيطان المسبب بالمرض إلى كائن أخر حيوان عادة من اجل تخليص الإنسان من المرض وهناك رواية معروفة جدا في أدبيات العهد الجديد تسلط الضوء على هذه الطريقة تقول انه لما وصل يسوع إلى بلدة دعيت باسم الجدريين أو الجراسيين تقع مقابل الجليل لاقاه من بين القبور إنسان يسكنه روح شريرة،وكان لا يلبس

---

[107]) مخطوط برلين،رقم:٨٥٠٢.

[108]) جوزيف كامبل،البطل بألف وجه،ترجمة:حسن صقر،(دمشق:دار الكلمة،٢٠٠٣)،ص١٢٨.

[109]) متى،١٧: ١٤-١٨؛مرقس،٩: ١٤-٢٧؛لوقا،٩: ٣٧-٤٢.

[110]) مرقس،١: ٢١-٢٦؛لوقا،٤: ٣١-٣٥.

[111]) لوقا،٤: ٣٨-٣٩.

ثوبا،ولا يسكن بيتا،ويقيم في القبور.ولم يكن احد ان يقدر ان يقيده ولو بالسلاسل،فانه كثيرا ما ربط بالقيود والسلاسل،فكان يقطع السلاسل ويحطم القيود،ولم يقدر احد ان يخضعه وكثيرا ما يجرح جسمه بالحجارة.ولكنه لما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له وصرخ بأعلى صوته،ما شأنك بي يا يسوع ابن الله العلي؟ استحلفك بالله إلا تعذبني!لكن يسوع أمر الروح الشريرة بان تخرج من جسد الإنسان وكان يضنها شيطان واحد فلما سأله يسوع عن اسمه:أجاب اسمه لجيون لأنه جيش كبيرا من الشياطين قد دخلوا فيه.غير إنهم توسلوا إليه إلا يطردهم إلى خارج المنطقة.وكان هناك قطيع كبير من الخنازير يرعى عند الجبل،فتوسل الأرواح الشريرة إلى يسوع قائلين:أرسلنا إلى الخنازير فندخل فيها.فإذن لها بذلك،فخرجت الأرواح الشريرة ودخلت في الخنازير،فاندفع قطيع الخنازير من على حافة الجبل إلى البحيرة،فغرق فيها(١١٢).

٤.إرسال شيء من المريض إلى المعبد:

وهي طريقة ترتبط بمبدأ السحر الاتصالي،إذ يتم إرسال شيء يخص الشخص المصاب مثل الشعر إذا كان مصابا بوجع في الرأس إلى المعبد،والشفاء بهذه الطريقة يتضمن مبدأ ان الشعر يمثل جزء من الشخص المصاب فينتقل العلاج سحريا إليه.وهناك نص مسيحي يتحدث عن هذه الحالة يقول إذا ما عانى إنسان من وجع رأسه كان يتدبر قص شعر رأسه وإرساله إلى مغارة كنيسة اكتشاف الصليب،وكان يوجد خلف مكان اكتشاف الصليب المقدس حفرة عميقة من الصخر،وهي مليئة بشعور رؤوس الناس وشعور لحاهم(١١٣).

في إيران تظهر الأدلة عن وجود ممارسات سحرية في العلاج رغم قلة النصوص التي توضح طبيعة تلك الممارسات المتبعة ولكن هناك إشارات إلى الطبيب الساحر،ويزودنا نص بأصناف المعالجين واحدهم بل أفضلهم المعالج الساحر أو كما وصفته الكتب الدينية الذي يداوي بالكلمات المقدسة وربما هذه الطريقة في العلاج تتضمن قراءة التعاويذ السحرية،وترافقها طقوس دعيت باسم باراشنوم للتطهر(١١٤):"إذا حضر عدة معالجين يا زرادشت سيبتاما! احدهم يعالج في السكين(جراح)،والأخر يعالج بالأعشاب،وأخر يداوي بالكلمات المقدسة،يكون الأخير هو شافي الشافين،لان العلاج بالكلمات المقدسة هو الأفضل لجميع المرضى،والأفضل في إبعاد المرض عن جسم المؤمن"(١١٥).ولكن رغم قلة

---

(١١٢) متى،٨: ٢٨-٣٢؛مرقس،٥: ١-١٣؛لوقا،٨: ٢٦-٣٣.

(١١٣) سهيل زكار،الأناجيل:النصوص الكاملة(تحرير)،(دمشق:دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٨)،ص١٠٢.

(١١٤) خليل عبد الرحمن(إعداد)،افيستا:الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية،(دمشق:روافد للثقافة والفنون،٢٠٠٨)،ص٢٩٠.

(١١٥) فينديداد،٧: ٤٤.

النصوص الخاصة بالطقوس السحرية فانه يمكن ان نقدم صورة ولو جزئية عن الطب السحري في إيران القديمة،وهناك وصف جيد عن طقس نفذ من اجل معالجة طمث المرأة الذي عده الزرادشتيون من عمل الأبالسة لاسيما ان تجاوز على تسع أيام: "إذا رأت المرأة الدم بعد مضي تسع ليال،تكون الأبالسة قد أصابتها،بسبب عبادة وتمجيد الأبالسة.(لذا من اجل العلاج)،يختار عباد مزدا طريقا خالية من الخشب،(و)من النباتات،(و) من الأشجار،ويحفرون ثلاث حفر في الأرض،ويغسلون المرأة ببول الثور عند الحفرتين من تلك الحفر،وبالماء عند الحفرة الثالثة.ويقتلون الكائنات المؤذية: مائتي نملة حاملات الحبوب في الصيف،ومائتي كائن مؤذي من أي نوع كان مما خلق انگرامانيو إذا كان شتاءا"[١١٦].

لقد كان الإغريق كغيرهم من الشعوب القديمة لديهم وسائلهم بالعلاج عن طريق الطقوس السحرية،ويبدو ان الإغريق امنوا بقدرة السحر على تخليص الإنسان من المرض: "إذا كانت ثمة لوثة(جنون) قد ألمت بكِ فاني اعرف من يشفيكِ بالتعاويذ والإعشاب،وإذا كان هناك من مسكِ سحره بشر،ففي الطقوس السحرية ما يخلصك من هذا الشر"[١١٧].ونحن نمتلك إشارة إلى مبدأ السحر الاتصالي ودوره في العلاج،ففي رواية إغريقية تقول ان الأسطول الإغريقي الذي كان متجها إلى طروادة أثناء الحرب الطروادية اخطأ الطريق إليها ورسى في تيوثرانيا(*Teuthrania*) عند مصب نهر كايكوس بإقليم ميسيا(على ساحل الأناضول).وقد قاوم تيلفوس(*Telephus*) ابن هراكليس ملك هذا الإقليم نزول الإغريق.ونشب قتال أصيب فيه تيلفوس بجرح في بفخذه من رمح رماه به أخيل.ولم يجد الملك احد يداويه،فاستشار نبوءة دلفي فأنبأته بان لا احد يستطيع مداواته غير من أصابه.ومن ثم تنكر في زي منسول وتسلل إلى معسكر الإغريق،وتمكن من مقابلة أخيل الذي اعتذر منه لأنه ليس طبيبا.غير ان اوديسيوس أدرك المقصود هو الرمح الذي جرحه وان الجرح يمكن ان يداوى بصدأ الرمح نفسه[١١٨].نقرأ في الأساطير الإغريقية عن طقس سحري نفذته امرأة تدعى ميديا من اجل إعادة الشباب لأبي زوجها المدعو ايسون،وتقول الأسطورة ان ميديا عندما اكتمل البدر اتجهت مساء إلى العراء ومدت ذراعيها نحو النجوم ودارت حول نفسها ثلاث مرات،ونثرت مياه النهر على رأسها ثلاث مرات،وصاحت صيحات ثلاث مع نحيب وعويل،ثم خرت على ركبتيها فوق الأرض وأخذت تهمهم قائلة: "أيها الليل الحارس الأمير لأسراري،أيتها النجوم الذهبية التي ترسل ضياءها مع القمر بعد غياب نور النهار،أيتها الإلهة هيكاتي يا صاحبة الرؤوس الثلاثة ويا من هدتني دوما إلى ما أقوم به وأعانتني على تحقيقه،أيتها

---

[١١٦]) فينديداد،١٦: ١١-١٢.

[١١٧]) بوبليوس اوفيديوس(اوفيد)،مسخ الكائنات: ميتامورفوزس،ترجمة: ثروت عكاشة،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢)،ص٢٢٤.

[١١٨]) عبد اللطيف احمد علي،التاريخ اليوناني: العصر الهيلادي،(بيروت: دار النهضة العربية،١٩٧٦)،ص٤٨١.

التعاويذ السحرية،أيتها الأرض التي تنبت الأعشاب السحرية،أيتها الانسام والرياح والجبال والأنهار والبحيرات وجان المغارات،وجان الليل،اقبلوا جميعا،فبعونكم استطيع حين أريد ان اصد جريان الأنهار فترتد مياهها إلى منابعها بين دهشة الشطان،وان أهدئ عاصفة البحار،أو أثير صخب مياهها بأناشيدي،وان اطرد السحب واجمعها،وان أرسل الرياح أو أخمدها،وان افتك بالثعابين بسحر تعاويذي وان أحرك الصخور والأشجار،وأمر البلوط ان يقتلع نفسه،بل أمر غابات بأكملها ان تفعل ذلك،أو ان أمر الجبال فتضطرب،وتميد الأرض فتئن وتزمجر،وأطياف الموتى فتخرج من قبورها،والقمر أيضا اجذبه من السماء رغم صنوج ثيميسا البرونزية التي تدق لتخفف عنائه.ان جمالي يزرى برونق مركب جدي(اله الشمس جد ميديا)،ويفقد الفجر أطيافه بفعل عقاقيري،انتم الذين أعنتم على تهدئة وهج أنفاس الثورين،وضعتم عليهما النيرين ليمضيا بالمحراث المعوج،ولم يكونا قد جرا شيئا من قبل،وأنتم الذين أثرتم المحاربين الذين نبتوا من زرع أنياب الأفعى ليقتل بعضهم البعض الأخر،وأرسلتم النوم إلى عيني التنين الذي لم ينم من قبل،ثم استلمتم الفروة الذهبية إلى اليونان(هذه إشارات إلى مغامرات جاسون الذي تزوج ميديا للحصول على الفروة الذهبية)،ما أحوجني اليوم إلى عقاقير تعيد نضرة الشباب إلى شيخ فانٍ وترده إلى مقتبل العمر،وسوف تهبونها إياي بعد ان لمعت النجوم استجابة لندائي وأقبلت مجموعة من التنانين المجنحة بهذه المركبة التي أوقفتها بجواري".وقد اعتلت ميديا المركبة التي هبطت إليها من السماء،وربتت على أعناق التنانين التي تجرها،وحركت أعنتها فانطلقت في الفضاء،وأطلت على وادي نهر تيمبي في ثساليا،ثم عكفت ميديا على فحص أعشاب جبل اوسا،ثم اتجهت إلى هضاب جبل بيليون المرتفع وجبل اوثريس وجبل بندوس واوليمبوس،أعلى الجبال قمة،وجمعت منها الأعشاب التي اختارتها،بعد ان اقتلعت بعضها من جذوره،والأخر قطعته بالسكين البرونزية،ثم جمعت حشائش أخرى من شواطئ نهر ابيانوس،ومن امفريسوس،وانيبيوس،وبنيوس،ومستنقعات سبيرخوس،ومن شواطئ بويبي،كما اقتطفت من انثيدون المقابلة ليوبويا نبات له خاصية إطالة العمر.وأمضت ميديا تسع ليال وتسع أيام تطوف البلدان في المركبة التي تجرها التنانين المجنحة،حتى إذا ما عادت دارها وقفت على عتبتها دون ان تدخل إليها متجنبة مخالطة الذكور،وشيدت محرابين في العراء احدهما على يمين الدار،والأخر على يساره،وجعلت الأيمن لهيكاتي والأيسر لربة الشباب هيبي،وغطتهما بأكاليل من غصون الأشجار التي تنمو في الغابة،وحفرت خندقين قريبين ملاءتهما بدماء شاة سوداء اللون ذبحتهما قربانا،ثم ملأت كؤوسا من النبيذ وأخرى من اللبن وسكبتها فوق الدماء في الخندقين،ثم أخذت تتلو تعاويذها منادية جان الأرض،ومتوسلة إلى ملك الظلال ومليكته المخطوفة(هاديس وبرسيفوني)،ألا يسلبا العجوز الحياة،وأخذت تكرر الصلوات حتى أثارت عطفهم جميعا.وعندها طلبت من جاسون ان يحمل أباه إلى

خارج الدار حيث فرشت بساطا من الأعشاب المنثور أضجعت عليه الشيخ ايسون،وأخذت تتلو تعاويذها حتى استسلم للنوم العميق،ثم أمرت ابنه وأتباعه بان ينصرفوا عن المكان وحذرتهم من ان تقع أعينهم غير المتهيئة للسحر على مشهد الطقوس السحرية التي سوف تؤديها فأطاعوا وتفرقوا،بينما أخذت هي تدور وحدها حول المحرابين بشعرها المرسل،وغمست مشاعلها الخشبية المشقوقة أعوادا دقيقة في الحفر المليئة بالدم حتى تشربته،ثم أشعلته ووضعتها على المحرابين وطهرت الشيخ بالنار ثلاث مرات،وبالماء ثلاث مرات،ثم بالكبريت ثلاث مرات،بينما كانت قد وضعت فوق النار قدرا تطهو فيه الجذور التي جمعتها من وديان هايمونيا والبذور والأزهار،وكانت هذه مقومات سائل قوي الأثر يغلي ويفور وبزبد ابيض في القدر،ثم أضافت إليها الأحجار التي جلبتها من أقصى الشرق،والرمال التي غسلتها بمياه الاوقيانوس وندف الثلج التي جمعتها بالليل على ضوء القمر،ولحم بومة مرعبة وجناحيها،وأحشاء غول وهو مخلوق يستبدل ملامحه الحيوانية بملاح إنسانية،ولم يفتها الجلد ذا الحراشف لثعبان مائي يسكن مياه كينيبس في ليبيا،وكبد وعل معمر ورأس غراب عمر ما يربو أكثر من تسعة أجيال،ومن منقاره،إلى جانب آلاف العناصر الغريبة.وكانت تستهدف من مزجها انجاز مهمة تفوق طاقة البشر.وأمسكت ميديا بغصن شجرة زيتون جاف،وأخذت تحرك به هذا المزيج الذي تحول إلى سائل وهو يغلي على النار،فما لبث الغصن الجاف ان اخضر وأورق،وسرعان ما أصبح محملا بالكثير من عناقيد الزيتون،وكلما غلى السائل وانسكب قطرات من القدر البرونزي على الأرض اخضرت البقعة التي وقعت عليها،ونمت بها الحشائش وتفتحت فيها الأزهار.وعندما أطمئنت ميديا إلى ذلك أمسكت بسيفها وشقت به حلق الشيخ الطاعن في السن وتركت دماءه الهرمة تسيل منه حتى جفت عروقه،وأخذت تملأه بالشراب الجديد الذي امتصه ايسون عبر الجرح الذي أحدثته ميديا في فمه.وسرعان ما زال الشيب من شعر لحيته ورأسه واصطبغ بالسواد من جديد،وغابت مظاهر الشيخوخة والضعف واختفى شحوب وجهه واكتنز لحمه تحت التجاعيد فبسطها،واكتسبت أطرافه قوة الشباب،وتعجب الشيخ من هذا التغيير الذي أعاده إلى حالته التي كان عليها منذ أربعين عاما مضت[119].يكشف هذا النص عن طقس سحري كامل قد مورس في بلاد الإغريق من اجل إرجاع الشباب،ويمكن ان نستشف منه طبيعة هذا الطقس وانه كالأتي:

١.يبدأ الساحر أو الطبيب الساحر وهو هنا في النص ساحرة بالتذكير بقوته وقدرته في تنفيذ الأعمال الاعجازية.

[119]) اوفيد،مسخ الكائنات،ص١٥٥-١٥٧.

٢.يـردد الطبيـب السـاحر عـدد مـن الكلمـات الـتي تهـدف إلى تبيـان ارتباطـه بكـل القـوى مـا فـوق الطبيعية،من آلهة وعفاريت،بـل ارتباطـه بقـوى الطبيعـة مـن انهـار وغابـات وأشـجار وطلـب عـونهم ومساعدتهم لإنجاح الطقس.

٣.يسـتخدم الطبيـب السـاحر في العـلاج عـدد مـن أنـواع النباتـات مـن المفـترض إنهـا ذات طبيعـة سحرية،فضلا عن الأحجار ذات الطبيعة الخاصة والرمال النقية.

٤.يبدو ان الطبيب الساحر كان يمارس الطقس السحري قـرب بيـت المـريض مـن جهـة وفي العـراء مـن جهـة ثانيـة حيـث يـتم إنشـاء محـرابين الأول للربـة هيكـاتي والثـاني للربـة هيبي،ويـتم تغطيتهمـا بالأغصان،ثم يقوم بحفر خندقين بالقرب من المحرابين يتم ملئهما بدماء شاة سوداء،ويصب مـن خـلال كأسين النبيذ واللبن فوق الدماء،ثم يبدأ التوسل بقوى العالم الأسفل من اجل إلا تسلب المريض الحياة.

٥.يتم وضع المريض على بساط مصنوع من الأغصان ويبدو ان لهذه المسألة أهميتها فالطقس كـان يهـدف إلى معالجة الشيخوخة والنبات الأخضر بلا شك يدل على الشباب والحياة.

٦.يبدأ الطبيب الساحر بتنفيذ طقوسه السحرية إذ يـدور حـول المحـرابين ويـتم تغمـيس المشـعل الـذي يحمله بالحفرة التي بها الدم،ومن ثم يتم تطهير المـريض بالنـار والمـاء والكبريـت ثـلاث مـرات،وأخيرا يصنع مزيجا مكون من الأعشاب التي في حوزته والأحجار والتراب،مع إضافة عـدد مـن المـواد الغريبـة مثل لحم البومة وجناحيها،وأحشاء غول ربما دلالة على حيوان مفترس،وجلد أفعـى وكبـد وعـل ورأس ومنقار غراب،وهنا يحدث الطبيب الساحر جرحا ربما كان صغيرا من المفـترض انـه يرمـز إلى الـتخلص من الدماء المريضة،ويبدو ان المريض رغم ان النص لا يصرح بذلك إلا انـه يـتم غسـله بالسـائل المحضـر آنفا وبذلك يحصل على الشفاء.

كـان للرومـان طقوسـهم السـحرية ويصـف الكاتـب الرومـاني مارسـيللوس مـن مدينـة بـوردو(Marcellus Of Bordeau) وكـان طبيـب الـبلاط أيـام ثيودوسـيوس الأول(*Theodosius I*)(٣٤٦-٣٩٥ م) في كتابه عن الطب إحدى الوسائل الـتي كانـت متبعـة في علاج الأورام بطريقة سحرية.وتتلخص هذه الطريقة بان يأخذ المريض احـد جـذور نبـات رجـل الحمـام ويقطعه ويعلق احد الجزأين حول عنق المريض بينما يعـرض الجـزء الأخـر لـدخان النار،وبينمـا يجـف النبات في الدخان يجف الورم إلى ان يختفي تماما.ولكن إذا تنكر المـريض بعـد ذلـك للطبيـب فـان مـن السهل ان يثأر الطبيب لنفسه بكل براعة وسهولة،إذ يكفي ان يلقـي جـذر النبـات في المـاء،وبمجرد ان يمتص النبات الرطوبة يعود الورم إلى التضخم مـن جديد.ويوصـي الكاتـب بأنـه إذا ظهـرت في الجسـم بعض البثور فليس على المصاب إلا ان يترقب احد النجوم من السماء فيمسح في الحال على تلـك البثـور بقطعة من القماش أو بأي شيء أخر في متناول يده،فكما يهوى النجم من السماء كـذلك تتهـاوى البثـور

عن الجسم،ولكنه يحذر من ان يمسح المريض على البثور بيده العارية وإلا انتقلت إليها[١٢٠].ويذكر بليني انه لو أصاب شخص ما شخصا أخر بجروح ثم شعر بالأسى لما فعل به فما عليه إلا ان يتفل على اليد التي سببت الجرح فيزول الألم في الحال[١٢١].

[١٢٠]) جيمس فريزر،الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين،ترجمة: أحمد أبو زيد،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١)،ص١٢١-١٢٢.

[١٢١]) المصدر نفسه،ص١٩١.